رسائل تربوية ١

رسالة المعلم

وآداب العالم والمتعلم

تأليف
الدكتور عبد المجيد البيانوني

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

دار ابن حزم

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى 1413 هـ

الطبعة الثانية 1420 هـ

الطبعة الثالثة 1429 هـ

يطلب من المؤلّف ص ب /45206/ الرمز البريدي 21512/

جدّة ـ المملكة العربيّة السعوديّة

جوّال /00966503619445/

البريد الضوئيّ

aalbyani@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء الطبعة الثانية

إلى روح والدي المعلّم الأول في حياتي الذي قضى أكثر من سبع وثلاثين سنة من حياته معلّماً وطالما سمعت منه هذه الكلمة : إن الله خلقني معلّماً . .

والدي . ! الذي أحبّ مهنة التعليم من قلبه ، واعتزّ بها وأخلص لها بكلّ كيانه ، وبذل فيها جهده وطاقته ، وحرمه الإخلاص لمهنته كثيراً من اللذاذات والطموحات ، التي تطلّع إليها أقرانه ، ولم ينالوها إلا بعيداً عن هذه المهنة . !

إلى روح والدي الذي كان في تعليمه أنموذجاً يحتذى بين أقرانه ، وفي نظر جميع طلابه ، تعلّمنا منه الكثير الطيّب ، من أدب العلم ، وأخلاق المعلّمين ، والسلوك الاجتماعيّ المعطاء ، وبقي يمدّنا بتوجيهاته

كباراً ، كما ربّانا عليها صغاراً ، ثمّ رأى من غرسه ما نحسب أنه أقرّ عينه ، ونرجو له حسن المنقلب عند ربّه .

وإلى والدتي الغالية . ! أمدّ الله بحياتها في عافية ، التي أخلصت القصد ، وكانت عوناً لوالدي ما وسعها الجهد ، وبذلت ما تدّخر لمتابعة تعليمي وتذليل العقبات في طريقي .

ربّ اغفر لي ولوالدي ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً .

ولدكم راجي الرضا

عبد المجيد

إهداء الطبعة الأولى

إلى الجنديّ المجهولِ ! الذي يرابط مع الكلمةِ الطيّبة ، والفكرةِ الحقّة ، يهذّبُ النفوسَ ، ويثقّفُ العُقولَ ، ويُعدُّ الجيلَ للغدِ المأمولِ . .

إلى الجنديّ المجهولِ عند الناسِ ، ولا يخفى مكانُه عند الله ، يبذل نفسَه ليصنعَ نهضةَ أمّتِه . .

وإلى أصحاب الرسالة حملة لواء الفلاحِ في كلّ ميدان .

وإلى الشبيبةِ الناشئةِ ، براعمِ اليومِ ورجالِ المستقبل . .

إلى أمتنا الحبيبة التي تأمل النهوض ، وتجد في طريقها شتّى العقبات . .

أقدّم هذه الرسالةَ معلماً على الطريق ، ومَنهجاً وذِكرى . .

المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الطبعة الثانية

إنّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيّئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليّاً مرشداً ، وأشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله ، أمّا بعد ؛

فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمّد ﷺ ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكلّ محدثة بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة .. وبعد ؛ فقد نفدت الطبعة الأولى من هذه الرسالة منذ سنوات ، وطلب منّي عدد من الأحبّة أن أعيد طباعتها ، فعزمت على إعادة النظر فيها قبل طباعتها واجتهدت .. ولكن مشاغل أخرى حالت دون ذلك ، إلى أن هيّأ الله تعالى لي شيئاً من متناثر الوقت ، فاغتنمت القليل الذي أخشى أن يفوت بغير جدوى ، للنظر في هذه الرسالة كرّة أخرى ، وأنا أرى أنّ ما تتناوله لا يزال جمهور المعلّمين والمتعلّمين بحاجة ماسّة إليه ، وأنّ الخلل فيه لا

يعوّض بشيء ، مهما ملكنا من الوسائل التعليميّة المتقدّمة ، ومهما وضعنا من الخطط الطموحة ، وبذلنا الإمكانات بسخاء .. فأعدت النظر ، فكانت إضافات مهمّة هنا وهناك ، زانت جيد هذه الرسالة كما يزين اللؤلؤ جيد العروس .. واجتهدت ألاّ تخرج بها عن طبيعتها في الاختصار وصغر الحجم ، لتسهل مطالعتها ، ولا يملّ من قراءتها ، إذ القصد منها الذكرى ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت ، وإليه أنبت ، وإليه المصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

جدّة في 2/ 2/ 1420 هـ

وكتبه

مُقَدِّمَة

الطبعة الأولى

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونتوب إليه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له . اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، وارزقنا الإخلاص في القول والعمل ، وثبّتنا على الحقّ حتّى نلقاك ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد معلم الخير وعلى آله وصحبه والتابعين . وبعد ؛

فإنّ من بدائه الحقائق أنّ الإسلام دين العلم ، وأنّ التعليم مهنة الأنبياء ، وأكرم بها من مهنة ! وكفى بالمعلّم شرفاً أن يكون على خطا الأنبياء وهديهم إذا أدّى حقّ العلم ، وكان وفيّاً بهذه الأمانة ..

وإذا كان عمل كثير من المعلّمين لا يؤتي ثمراته .؟ فلأنّهم نسوا مهمّتهم ورسالتهم وأصبحوا موظّفين ، بعيدين عن رسالة العلم ، وما تحمله من أهداف سامية ، ولم يكونوا قدوة للمتعلّمين ، وأصبح تعليمهم صورة تنسخ ، لا روحاً تنفخ ، ومادّة تملأ العقول ، لا آداباً تهذّبُ النفوسَ .. ولن تعود للتعليم روحه الإسلاميّة ما لم تسبق الآدابُ العلومَ ، والتزكيةُ التعليمَ ، غرساً وتعهّداً ورعاية ، وتتضافر على ذلك جهود الآباء والمربّين ..

وقد سألني بعض الأحبة الناشئين ممن يلوذ بي : لماذا تشكون منّا دائماً ؟ وتثنون على أساتذتكم وجيلكم ، وقد تهيّأ لنا من تقدّم أساليب التعليم ، وتوفير الكتب المجانيّة ، والمناهج المستقرّة ، ووسائل المتنوّعة التقنية مالم يتيسّر لكم منه إلاّ النزر اليسير ؟!

فأجبته على عجالة : إنّكم وجدتم كلّ شيء من الأمور الماديّة الظاهرة ولكنّكم فقدتم : (بركة العلم) !

قال : ولماذا .؟ ومن المسئول عن إعطائنا (بركة العلم) .؟ فوجدتني مرّة أخرى أمام سؤال عليّ أن أجد جوابه ..

وعدت إلى نفسي فوجدت أنّ جانباً كبيراً من المسئوليّة يعود على الجيل الذي يُعلّم ، عندما يُعلّم وهو فاقدٌ لرسالته التي ينطلق منها ، ويسعى إلى تحقيقها .. والجانب الاخر يعود إلى الانفصام بين التعليم والتربية ، وتلقّي العلوم بصورة جافّة ، معزولةٍ عن روحها وآدابها . ويتحمّل المعلّمون في ذلك أيضاً عبئاً كبيراً ، ومسئوليّة جسيمة ..

وجانب آخر يعود في بعض البلاد الإسلاميّة إلى الخلل في أهداف المناهج التعليميّة نفسها ، وما تحمل من توجّهات بعيدة عن دين الأمّة وقيمها وآدابها ، والخلل كذلك في البيئة الاجتماعية التي تحيط بالطالب وتؤثر فيه ، ثمّ الأعراف السائدة ، التي تفرض نفسها بقوّة على الطالب وعلى المجتمع ، وكثيراً ما تخرج عن القيم والآداب التي يُلقّنها في المدارس ويتعلّمها .. فرأيت ضرورة الكتابة في الجانبين الأوّلين اللذين أشبعهما علماؤنا الأجلاء عليهم رحمة الله ـ بحثاً وتفصيلاً ـ بالصورة التي تلائم عصورهم وأجيالهم ..

فكانت هذه الرسالة في فصلين :

ـ الفصل الأول : في رسالة المعلّم : وفيه عدّة مباحث نتحدّث عنها .

ـ والفصل الثاني : في آداب العالم والمتعلّم .

وقد قدّمت بين يدي ذلك بقبسين من الوحي الإلهيّ الشريف : قبسٍ من القرآن الكريم ، وقبسٍ من هدي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

وختمت هذه الرسالة بنداء ورسالة إلى كلّ معلّم ومعلّمة .

والله تبارك وتعالى أسأل : أن يجعل هذه الرسالة خالصة لوجهه الكريم ، ويجعل فيها النفع والخير للمعلّمين والمتعلّمين وعامّة المسلمين ، وأن يكون فيها ذكرى وبلاغ ، ويكتب لي فيها الأجر والمثوبة ، إنّه أكرم مسئول ، وهو المرجّى للقبول ، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين .

جدة في 8 من ذي الحجة 1413هـ

وكتبه

أقباسٌ مِن هَدْيِ القُرآنِ الكَرِيمِ

في العِلمِ والتعليمِ

❊ ـ لا علمَ لنا إلاّ ما علّمنا اللهُ تعالى : ﴿.. سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ البقرة .

❊ - العلماء هُم أهل الخشية لله تعالى : ﴿.. إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ فاطر .

❊ ـ المؤمِنُ يطلُبُ زيادةَ العلمِ دائماً : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ **طه** .

❊ ـ العلم خصوصية من الله ورفعة : ﴿.. وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ يوسف .

* ـ العلمُ عملٌ وخشيةٌ ، ولا يَستوي أهلُ العلمِ وغيرُهم : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ الزمر .

* ـ العلمُ رِفعةٌ ودرجاتٌ : ﴿ .. يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة .

* ـ العلمُ أساسُ الدينِ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ محمّد .

* ـ مُهمّةُ الرسُولِ ﷺ التربيةُ والتعليمُ : ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ آل عمران .

* ـ تعليمُ الله تعالى لنبيّه ﷺ مَا لم يعلَمْ : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ النساء .

* ـ طَلَبُ العِلمِ فَرضُ كِفايةٍ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ التوبة .

* ـ القولُ على اللهِ تعالى بغيرِ علمٍ مِن كبَائِرِ الذُّنُوبِ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف .

* ـ أهلُ العِلمِ هُم مَرجِعُ الأمّة : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ

إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ النحل

.

قَبسٌ مِن هَدي المصطَفَى ﷺ

*** ـ التربية الايمانية قبل التعليم وهي أساسه :**

ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمًا فَقَالَ : (**يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : (احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**) [1] .

وفي رواية غير الترمذي : (**احفظ الله تجده أمامك . تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة . واعلم أنّ ما أخطأكَ لم يكن ليصيبكَ ، وما أصابكَ لم يكن ليخطئكَ ، واعلم أنّ النصرَ مع الصبر ، وأنّ الفرجَ مع الكرب ، وأنّ مع العسر يسراً**) .

---

(1) ـ رواه الترمذي / 2440/ وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وانظر الحديث التاسع عشر من جامع العلوم والحكم صفحة / 160/ .

* ـ مثلُ ما بُعِث به النبيُّ ﷺ من الهُدى والعِلم : عَنْ أَبِي مُوسَى الاشعري رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ ، قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا ، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ ، لا تُمْسِكُ مَاءً ، ولا تُنْبِتُ كَلأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) .[1]

(1) ـ رواه البخاري 1/ 160-161 ومسلم 2282 وأحمد 4/ 399 .

الغيث : المطر ، والكلأ بفتحتين : المرعى ، والعشب بضم العين وسكون الشين : الكلأ الرطب في أول الربيع والأجادب : الأرض التي لا تنبت .

المُعلّم والمُربّي الأوّل سيّدنا محمّد ﷺ

يقول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ .. ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف .

ويقول سبحانه : ﴿ .. فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ الأعراف .

إنّ من أبرز خصائص رسول الله ﷺ أنّه نبيّ أمّيّ بعث في أمّة أمّيّة ، ولكنّ هذا الأمّيّ الذي لم يقرأ كتاباً ، ولم يتعلّم على يد أحد من البشر جاء بعلوم شتّى ، شملت جميع جوانب الحياة ، سبق بها العصر الذي كان فيه بقرون عديدة ، وحارت بها ألباب العلماء ، والفلاسفة والحكماء ، ممّا وضع الناس جميعاً أمام بيّنة عقليّة واضحة ، وحُجّة ملموسة : أنّ العلوم التي جاء بها هذا النبيُّ الأمّيُّ : إن هي إلاّ وحي من الله تعالى ، وفتح وعطاء من مالك الملك ، عالم الغيب والشهادة ..

ولقد أراد الله تعالى لأمّة الرسالة الخاتمة : أن تكون أمّة علم وتعليم ، يبدأ تعليمها من نور الوحي ، ويتّصل بالله تعالى ، وتحمل رسالة الإنقاذ للإنسانيّة كلّها ..

وإنّ البدء بالتعليم هو المنطلق الأوّل ، الذي لا يستقيم أيّ جانب من جوانب الحياة الإنسانيّة إلاّ به ، ولا ينحطّ الإنسان ، ولا تنحطّ أمّة من الأمم ، ولا تضلّ الإنسانيّة وتتخبّط إلاّ من التفريط في العلم الصحيح أو الانحراف عن سبيله : إمّا إلى جهل وتخلّف ، أو إلى علم منقطع عن غايته المثلى وأهدافه ، يضرّ الإنسان ولا ينفعه .

فالأمّة بلا علم متّصل بنور الحقّ ، يوضّح لها جوانب سلوكها ، وبلا تربية يعرف كلّ فرد من أفرادها واجبه ومسئوليّاته : الدنيويّة والأخرويّة ، تصبح أمة فوضويّة تائهة ، تصرفاتها غير متوقعة ولا منضبطة ، ولكلّ فرد من أفرادها سلوك يخالف سلوك الآخر ، وعادات وتصورات تختلف عن عاداته وتصوراته .

فكيف تفلح أمة ، أو تستقيم حياتها إذا كانت على هذه الصورة ، أو كان أيّ فرد من أفرادها كذلك .؟

وإنّ الظاهرة المتميّزة التي نجدها في حياة سيّدنا محمد ﷺ : أنّه عليه الصلاة والسلام بدأ بتشكيل أمّة جديدة ، كانت لها كلّ مقوماتها الفكريّة والسلوكيّة والأخلاقيّة والتشريعيّة والدستوريّة واللسانيّة ، فكان الفرد فيها ينبتُّ عن صلته بأيّ عالم غير عالم هذه الأمّة ، بعدما ينصهر انصهاراً تاماً في بوتقة الإسلام ، وتتّضح له غايته ومصيره ، ثمّ ينطلق في اتجاه واضح بيّن ، لا يزيغ عنه ولا يحيد .

لقد وضّح النبيّ ﷺ لكلّ فرد مهمّته ، وربّاه على أدائها ، ووضّح للجميع المهمّة الكبرى لهم في حياتهم ، ورسم لهم الطريق لبلوغها ، وعرّفهم بكلّ شيء في كلّ جانب من جوانب الحياة ، كيلا تلتبس عليهم السبل ، ولا تزلّ بهم قدم ، وقادهم في هذا الطريق بنفسه ورعايته مدّة ، ثمّ تركهم على المحجّة البيضاء ومضى إلى ربّه ، فانطلقوا بعده لم يغيّروا ، ولم يبدّلوا ، فكان من آثارهم ما كان ، مما لا يخفى على كلّ عاقل منصف ..

وإنّ أعظم آليّة جاء بها النبيّ ﷺ لنشر العلم بين فئات الأمّة على اختلاف مستوياتها : هي تحويل التعليم إلى مسئوليّة دينيّة اجتماعيّة ، تُطالب بها كلّ فئة متعلّمة ، مهما تكن درجة تعليمها ، تجاه من يجاورها أوْ تختلط به ، وقد جاء ذلك في حديث واضح كلّ الوضوح ، يقرّر هذه الحقيقة ويؤكّدها : عَنْ عبْد الرحمنِ بنِ أبْزى رضي الله عنه قال :

" خطب رسول الله ﷺ ذات يوم ، فحمد الله واثنى عليه ، ثم ذكر طوائف من الناس ، وأثنى عليهم خيراً ، ثم قال : (**ما بالُ أقوامٍ لا يُفقِّهون جيرانهم ؟! ولا يُعلِّمونهم ؟! ولا يُفطّنُونهم ؟! ولا يأمُرونهم ؟! ولا ينهونهم ؟! وما بالُ أقوامٍ لا يتعلَّمُون من جيرانهم ؟! ولا يتفقَّهُون ؟! ولا يتفطَّنون ؟!** .

والله ليُعَلِّمَنَّ قومٌ جيرانهم ، ويفقهونهم ، ويُفطنونهم ، ويأمرونهم ، وينهونهم ، وليتعلمن قومٌ من جيرانهم ، ويتفقهون ، ويتفطنون ، أو لأعاجلنَّهم العقوبة في الدنيا .

ثم نزل فدخل بيته ، فقال قومٌ : من ترونه عنى بهؤلاء ؟ قالوا : نراه عنى الأشعريِّين ، هم قومٌ فقهاء ، ولهم جيرانٌ جُفاةٌ من أهل المياه والأعراب .

فبلغ ذلك الأشعريَّين ، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يارسول الله ، ذكرت قوماً بخيرٍ ، وذكرتنا بشرٍّ ، فما بالُنا ؟

فقال : ليُفقهُنَّ قومٌ جيرانهم ، وليفطّنُنَّهم ، وليأمرونَّهم ، ولينهوُنَّهم ، وليتعلّمَنَّ قومٌ من جيرانهم ، ويتفطنون ويتفقهون ، أو لأعاجلنَّهم العقوبة في الدُّنيا .

فقالوا : يارسول الله أنُفطّن غيرنا ؟ فأعاد قوله عليهم فأعادوا قولهم : أنُفطّن غيرنا ؟ فقال ذلك أيضاً .

فقالوا : أمهلنا سنةً ، فأمهلهم سنة ليفقهوهم ، ويعلمونهم ، ويفطنونهم .

ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ

وَكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ المائدة [1] .

ولا يزال الهدي الذي جاء به محمّد بن عبد الله ﷺ وتربيته المثلى تأخذ بيد المسلم كلّما تعثّر أو كبا ، لتنقذه في متاهات الحياة ، واتّجاهاتها المتضاربة ..

وإذا كان كمال المربّي ونجاحه في عمله يتجلّى في ثلاثة جوانب ، كلّ واحد منها على درجة كبيرة من الأهمّيّة ، وهي :

1 ـ نقل نفس الإنسان وعقله من حالة دنيا إلى حالة أعلى ، وكلما ترقّى بالإنسان وسما به أكثر دلّ ذلك على كماله ورفعة عمله .

2 ـ ويتجلّى أيضاً نجاح المربّي في سعة دائرة الناس الذين استطاع أن ينقلهم إلى الكمال الإنسانيّ ، فكلّما كانت الدائرة أوسع وأشمل كان ذلك أدلّ على كمال المربّي ونجاحه في عمله .

---

(1) ـ رواه المنذري في الترغيب والترهيب 1/ 86 و " مجمع الزوائد " 1/ 164 ورواه الطبرانيّ في الكبير ، وقال الحافظ ابن السكن : " إسناد هذا الحديث صالح " ورجّح أستاذنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدّة رحمه الله أنّه حسن أو يقاربه ، ينظر : " الرسول المعلّم وأساليبه في التعليم " ص/ 17/ .

3 ـ كما يتجلّى نجاح المربّي في عمله : في صلاح هذا المنهج وهذه التربية ، وحاجة الناس جميعاً إليها ، واستمرار إيتاء هذه التعاليم آثارها على مدى العصور .

وكلّ ذلك مما تحقّق في حياة النبيّ ﷺ على أكمل وجه وأتمّه ، وامتازت به التربية النبويّة التي جاء بها ، وشهد به القريب والبعيد ، واعترف به العدوّ قبل الصديق .. وممّا جاء من شهادات غير المسلمين :

ـ قال موير : " لم يكن الإصلاح أعسر ولا أبعد منالاً منه وقت ظهور محمّد ، ولا نعلم نجاحاً أو إصلاحاً تمّ كالذي تركه بعد وفاته " .

ـ وقالت دائرة المعارف البريطانية : " لقد صادف محمّد النجاح الذي لم ينل مثله نبيّ ، ولا مصلح دينيّ في زمن من الأزمنة " .

ـ ويقول بوزورث اسمث : " إن محمّداً بلا نزاع هو أعظم المصلحين على الإطلاق " .

ـ ويقول هيل : " إن جميع الدعوات الدينيّة قد تركت أثراً في تاريخ البشريّة ، وكلّ رجال الدعوة والأنبياء قد أثّروا تأثيراً عميقاً في حضارة عصرهم وأقوامهم ولكنّا لا نعرف في تاريخ البشر أنّ ديناً انتشر بهذه السرعة ، وغيّر العالم بأثره المباشر كما فعل الإسلام . ولا

نعرف في التاريخ دعوة كان صاحبها سيّداً مالكاً لزمانه ولقومه كما كان محمّد " .

" لقد أخرج أمّة إلى الوجود ، ومكّن لعبادة الله في الأرض ، وفتحها برسالة الطهر والفضيلة ، ووضع أسس العدالة والمساواة الاجتماعيّة بين المؤمنين ، وأصّل النظام والتناسق ، والطاعة والعزّة في أقوام لا تعرف غير الفوضى " .

فهل لمسلم بعد ذلك أن يقول عن أحد : إنّه المعلّم والمربّي الأوّل إلاّ عن سيّدنا محمّد ﷺ .؟!

الفصل الأوّل

رسالة المُعلّم

تمهيد

مع كثرة العلم والمعارف في عصرنا ، واتساع دائرة المعلومات ، والكمّ الهائل من الاكتشافات العلمية ، وثورة التقنيّة والمخترعات ، ومع تطوّر الوسائل التعليميّة ، وتنوّع أساليب التعليم وطرقه ، ودعوى أن عصرنا عصر العلم ، وكأنّ أسلافنا كانوا في عصور الجهل والأميّة ، وكأنّ الحضارة الاسلاميّة ، لم تكن حضارة علميّة راسخة الأسس ، وطيدة البنيان ضربت في كل العلوم بحظّ وافرٍ .. مع هذا الواقع وتلك الدعوى : فإننا نحسّ ونلمس ، ونحن نمارس التعليم ، ويتقلّب أبناؤنا في مراحله ومستوياته المختلفة ، وتبذل لهم كلّ الإمكانات الهائلة ، وتجنّد لهم حشود من الطاقات العاملة .. مع كلّ هذا فإننا نحسّ أنّ التعليم يفقد بريقه يوماً بعد يوم .. وأنّ العلم المبذول جسد من غير روح ، وصورة بلا معنى وأن المتعلّم فاقدٌ لبركة العلم ونوره وروحانيّته وسموّه .

وتلك لاشكّ مسئولية المعلمين أولاً ، الذين تحوّل عملهم في كثير من الأحيان إلى عمل وظيفيّ آليّ ، وغلبت على كثير منهم الملالة والسأم ، وأداء العمل بصورة شكليّة رتيبة ، وغابت عن كثير منهم الأهداف التربويّة ، فلم يتوخّوا تحقيقها في عملهم ، وكانت النتيجة انحطاط التعليم ، وضياع المتعلّمين ..

فمن ثمّ كان لابدّ لنا من العودة الصادقة الواعية إلى المنهج الذي قامت عليه نهضة هذه الأمّة وحضارتها ، وهو المنهج الذي بعث به النبيّ ﷺ ، وأسّس عليه بنيان دولة الإسلام الأولى ، فكانت مدرسة تخرّجت فيها خير أمّة عرفتها البشريّة ، وكان منها أزكى الناس ، وخير أجيال الدنيا على الإطلاق ..

وهذه الرسالة إن هي إلاّ محاولة لرسم الصورة الصحيحة لهذا المنهج ، الذي يقوم على التعليم بما وضع له الإسلام من الحدود والقيم ، والآداب والضوابط ، ممّا أثمر تلك الحضارة الإنسانيّة المتميّزة ..

والحديث عن رسالة المعلّم يتصل بالحديث عن الرسالة والرسول ، تلك الرسالة التي هي رسالة العلم والإيمان : ﴿.. وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ طه .

والعلمُ هو سبيل الخشية ، والقرب من الله ﷻ : ﴿.. إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ .. ﴿٢٨﴾﴾ فاطر .

والرسول ﷺ هو الذي علّمه الله تعالى ما لم يعلم ، وبعثه الله معلّماً للإنسانيّة ورحمة للعالمين : ﴿.. وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ النساء .

وإنّ مهمّة المعلّم تقتضي التمييز بين المعلّم وبين الموظّف الذي يقوم بعمل مكتبيّ ، بالرسالة التي يؤمن بها المعلّم ، ويحملها بين جوانحه ، وتتفاعل معها مشاعره ، وينقلها إلى طلابه وتلامذته ، هذا التمييز يعدّ على جانب كبير من الأهميّة ، أن تسلط عليه الاضواء ، ويركّز عليه الانتباه ، ويعالج بكثير من الاهتمام ، لما أنه يتناول روح العلم والتربية ، التي يتلقّاها الطالب ، وتتكوّن بها شخصيّته بجوانبها المختلفة ، خلال سنوات دراسته وتحصيله ، وعندما يفقد المعلّم رسالته يتحوّل إلى موظّف ، ويكون العلم ضعيف الأثر ، عقيم الثمر في حياة الأمّة ، وسلوك أبنائها .

هذا وقد رأيت أن أتحدث عن رسالة المعلم التي تميّزه عن مهنة الموظّف من خلال المباحث التالية :

ـ المبحث الأوّل : نحن أمة رسالة .

ـ المبحث الثاني : الفرق بين المعلّم والموظّف .

ـ المبحث الثالث : علاقة الناس بالمعلّم والموظّف .

ـ المبحث الرابع : المعلّم في مفهوم الاسلام .

ـ المبحث الخامس : صفات المعلّم التربويّة المؤهّلة .

ـ المبحث السادس : أسباب أخرى تحول المعلّم إلى موظّف .

المبحث الأوّل

نحن أمّة رسالة

لقد أختار الله تبارك وتعالى محمداً ﷺ خاتماً للأنبياء والرسل ، وجعل شريعته خاتمة الشرائع والرسالات ، وأمّته خاتمة الأمم ، وشهيدة على الناس ، فقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا .. ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة .

وهذا القول مِن بدائه الحقائق التي تميّز أمّة الإسلام في وجودها الذاتيّ ورسالتها الحضاريّة بين الأمم : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ .. ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران ، كما تميز المسلم في تكوينه وسلوكه ، وأخلاقه وعلاقاته .

إنّها حقيقة بدهيّة تترتّب عليها عدة حقائق أوليّة أساسيّة أهمّها :

1 ـ أنّ على كل مسلم أن يحمل في عقله وقلبه ، وسلوكه وأخلاقه : رسالة الإسلام وقيمه ومبادئه ، ويبلغ ذلك للناس بقوله وفعله ، ويدعو إليه بحسب استطاعته .

2 ـ وأنّ التعامل بين المسلمين ينبغي أن تحكمه مبادئ الإسلام وقيمه وأحكامه .

3 ـ وأنّ علاقة المسلمين بغيرهم ينبغي أن تحكمها أيضاً مبادئ الإسلام وقيمه .

ويمثّل هذه البدهيّات كلّها قول الخليفة الراشد : عمر بن الخطاب ﷺ : (**نحنُ قومٌ أعزّنا الله بالاسلام مهما أبتغينا العزّةَ بغيره أذلّنا الله**) .

ويترتّب على هذه الحقائق أنّ على الأمّة المسلمة أن تترسّم خطا المنهج الذي جاء به النبيّ ﷺ في تصوّراتها وخططها ، وعلاقاتها وجميع شئونها ، إذا أرادت أن تكون وفيّةً للدين والمنهج الذي أعزّها الله به .

ـ ولكنّ الذين يُسألون عن حمل رسالة الإسلام وتبليغها بالدرجة الأولى ، وعلى الوجه الأكمل إنّما هم العلماء ، الذين هم ورثة الأنبياء ، كما جاء في الحديث الصحيح ، وإنّ علماء الأمة في كلّ جيل مهمّتهم ورسالتهم الأولى أن يُربّوا الناس بالإسلام ، وأن يربطوا بين هذه الأمّة في أجيالها المتلاحقة ، وفي حياتها النظريّة والعمليّة وبين الإسلام عقيدة ومنهجاً ، وأخلاقاً وسلوكاً ، وعبودية خالصة لله ربّ العالمين .

وحمل رسالة الإسلام وتبليغها إنّما يعني : أنّ هذه الأمّة لها في الحياة هدف وغاية ، وأنّ التربية ينبغي أن تستهدف تحقيق هدفها وغايتها .

فما غاية التربية ؟ وماذا يراد من ورائها ؟ ولماذا تبذل هذه الإمكانات الهائلة ، والقدرات المتنوّعة ، والمواهب الفنية على التعليم .؟ ولماذا تنفق الأمّة بسخاء في هذا السبيل ، وعلى طريقة مقصودة منظمة .؟

ـ إنّ التربية والتعليم إذا سارت على غير هدف أو غاية واضحة أوجدت فجوة بين الأمّة وبين عقيدتها وتصوراتها ، وحضارتها وتراثها ، فمن ثمّ فإنّ وظيفة التعليم الأولى أن يربط بين الأمّة وبين هذه الأمور برباط محكم وثيق ، وينقل تراث الآباء والأجداد إلى الأجيال القادمة ، ذلك التراث الذي أفرغ فيه سلفنا الصالح خير قواهم ومواهبهم ، وبذلوا فيه أعمارهم ، ونقل إلينا بأيدي الأمناء ، وعلى جسور من الأشلاء والتضحيات ..

ثمّ لا ينبغي أن تقتصر مسئوليّة التعليم على النقل والتبليغ فحسب ، بل ينبغي أن يعمّق هدف التعليم وغايته في القلوب والعقول ، ويمزج بالأحاسيس والمشاعر ، ليتمّ نقله إلى الأجيال اللاحقة بدقّة وأمانة ، وأقصى درجة من الصدق والفاعليّة .

وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية في تعريف التربية ما يلي : " لقد سلك الناس مسالك مختلفة في التعريف بالتربية ، ولكن الفكرة الأساسيّة التي تسيطر عليها جميعاً : " أنّ التربية : هي الجهد الذي يقوم

به آباء شعب ومربّوه لإنشاء الأجيال القادمة ، على أساس نظريّة الحياة التي يؤمنون بها " .

" وإنّ وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحيّة فرصة التأثير في التلميذ .. تلك القوى الروحيّة ، التي تتصل بنظرية الحياة ، وتربّي التلميذ تربية تمكّن من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمديدها إلى الأمام " .

المبحث الثاني

الفرق بين المعلّم والموظّف

يجمع بين المعلّم والموظّف أن كلاً منهما مسلم [1] يحمل في عقله وقلبه ، وسلوكه وأخلاقه رسالة الإسلام ، ويدعو إليها بحسب استطاعته ، وهذا ما تبين لنا في النقاط السابقة .

---

(1) ـ الأصل في الدولة الإسلاميّة ألاّ يكون موظّفوها الإداريّون إلاّ من المسلمين ، إذ إن الموظّف وكيل عن وليّ الأمر ونائب عنه في تنفيذ شريعة الله ، وإقامة العدل بين الرعيّة ، وإيصال الحقوق ، وحفظها ، والقيام على مصالح الأمّة ، فأهل الذمّة من اليهود والنصارى لا يستعان بهم في أعمال إداريّة فيها نوع من الولاية على حقوق الأمّة ومصالحها وأفرادها ، وهي نوع من النيابة عن وليّ الأمر ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ النساء ، وقد ذهب الماورديّ إلى جواز أن يكون وزير التنفيذ ذمّيّاً ، وتبعه بعض المعاصرين ، وانتقده أبو يعلى وإمام الحرمين في " غياث الأمم " ، وابن جماعة إذ يقول : " ولا يجوز تولية الذمّيّ في شيء من ولايات المسلمين إلاّ في جباية الجزية من أهل الذمّة أو جباية ما يؤخذ من تجارات المشركين " ، وإنّ وقائع التاريخ الإسلاميّ وما فيها من خيانات كثير من أهل الذمّة للمسلمين ، تؤيّد القول الأول ، وتقتضي الأخذ بالحيطة في هذا الأمر والحذر ، ينظر : " تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام " للإمام بدر الدين بن جماعة ص/ 78/ وتعليق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد .

ولكنّنا من خلال طبيعة عمل كلّ من المعلّم والموظف ومهمّتهما في الحياة نستطيع أن نعرّف المعلّم والموظّف على النحو التالي :

ـ **فالمعلّم** هو الذي يأتمنه الناس على تربية أولادهم ، وتأديبهم وتعليمهم ، ويتحقق بمستوى مناسب من الأهليّة لذلك ..

ـ **وأمّا الموظّف** فهو الذي يكلّف بعمل ما ، وتتحقق به الأهليّة العلميّة ، أو الفنيّة ، أو الخبرة المناسبة لهذا العمل ..

ونستخلص من التعريفين الحقائق التالية :

1 ـ أنّ كلاً من المعلّم والموظّف يتحقّق فيهما قدر مشترك من المؤهّلات العلميّة والأخلاقيّة ، والمهارات الفنيّة المناسبة لمهمّة كلّ منهما ، وطبيعة عمله واختصاصه .

2 ـ أن الجانب الأساسيّ في المعلّم هو المستوى العلميّ والسلوك الأخلاقيّ المناسب ، والقدرة على التعليم والعطاء ، بما ينسجم مع طبيعة المهمّة الملقاة على عاتقه ، ولا يفترض في الموظّف أن يكون كذلك كما هو واضح .

3 ـ أن علاقة المعلّم علاقة إنسانيّة تربويّة ، فميدان عمله : النفس البشريّة ، ومهمته صقل العقول ، وإيقاظ القلوب ، وتهذيب النفوس ، وغرس الفضائل ، واجتثاث الرذائل ، وتنشئة الطفال تنشئة قويمة سويّة .

إنّ مهمّة المعلّم تتعلق بسيّد المخلوقات في هذا الوجود .. بالإنسان الذي خلقه الله بيديه ، وأسجد له ملائكته ، وجعله في أحسن تقويم ، وحمله ما ناءت السموات والأرض والجبال بحمله ، فشرّفه بالأمانة ، وخصّه بالتكليف ، ليكون في أرفع المنازل عند الله تعالى ، إن وفّى بعهد الله وأمانته .

إنّنا نلقي إلى المعلّم بفلذات أكبادنا ، معادنَ وخاماتٍ ليجعل منها أدوات نفيسة القدر ، عالية الهمّة ، شريفة المهمّة ، وينقش عليها نقوش الحقّ ، التي تؤهلها لجليل المهام ، ولا تمحوها الليالي والأيّام .

وفي هذا المعنى يقول الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى :

" إن الصبيّ أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ، خالية من كلّ نقش وصورة ، وهو قابل لكلّ ما ينقش فيه ، ومائل إلى كل ما يمال إليه ، فان عُوّد الخير وعُلّمه ، نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبواه وكلّ معلّم له ومؤدّب ، وإن عُوّد الشرّ ، وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة مُربّيه والقيّم عليه " [1] .

---

(1) ـ نقلاً عن كتاب : " منهاج التربية الصالحة " ص/ 76/ للشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني رحمه الله .

ـ أمّا الموظّف ؛ فقد يكون تعامله مع آلة صمّاء فحسب ، لا صلة له بالناس مطلقاً ، وقد يكون بعيداً عن الناس يتعامل مع أوراق تصله ، ومعاملات للناس يتلقاها من موظف آخر ، فتنحصر علاقته مع الناس بعلاقته مع زملائه ورئيسه ، وقد يكون تعامله مع الناس محدّداً بلحظة عابرة ، أو كلمة محدودة ، فلا يربطه مع الناس سوى نظام وشروط وقيود ، ولا تصله بهم إلاّ الأوراق المطلوبة ، والشروط المستوفاة .

ولا يخفى أنّ ذلك في كثير من الأحيان إن لم يصحبه حسن الخلق ، والصبر الجميل ، والأسلوب الحكيم في العلاقة ، والطيب في التعامل ، فإنّه يورث الجفاء في العلاقة بينه وبين الناس ، لأن النفوس جُبلت على النفرة من القيود والنظام ، وإباء الانقياد والانتظام .

ولئن كانت طبيعة عمله لا تقلّل من أهميّة أخلاقه وسلوكه ، وضرورة صبره وتحمّله ، وحسن علاقته بالناس ولطفه ، وما لذلك كلّه من أثر ، وما يتركه في نفوس المتعاملين معه من انطباع حميد ، وثناء عطر ، وتأثير طيب ، ولكنه لا يقف في ذلك كلّه موقف المعلّم للناس ، والمربّي الموجّه ..

ونخلص من ذلك : إلى أنّ الفرق الذي نريد الحديث عنه بين المعلّم والموظّف يتجلى في طبيعة علاقة كلّ منهما بالناس ، ففي الوقت الذي تكون علاقة المعلّم مع تلاميذه علاقة أبويّة تقوم على التربية

والتعليم ، والإرشاد والتوجيه ، تنحصر علاقة الموظّف بالناس في نطاق محدود، من طبيعة العمل الذي يقوم به ، والمسئولية التي يؤدّيها ، ولا يطلب منه ما فوق ذلك ، ولا يسأل عنه ..

المبحث الثالث

علاقة الناس بالمعلّـم والموظّف

لعلّ هذه النقطة تعدّ مكمّلة للنقطة السابقة ، ويتجلّى خلالها مزيد من الفروق بين المعلّم والموظّف ، ففي النقطة السابقة استجلينا طبيعة علاقة التلاميذ بالمعلّم ، وعلاقة الناس بالموظّف ..

ـ **ونبدأ بعلاقة الناس بالموظّف** .. إنّها علاقة محدودة موقوتة لا تكاد تبدأ في أكثر الأحيان إلاّ لتنتهي ، ولا تكاد تنشأ إلاّ لتنقطع ، وقد يكون فيها احتكاك وسوء تفاهم لسوء خلق في أحد الطرفين ، أو بعد عن الحق ، فتنتهي بشكوى ، أو بجفاء كل طرف للطرف الآخر ، وتبرّمه منه ..

ـ **أمّا علاقة التلاميذ بمعلّمهم** ؛ فهي علاقة أبويّة حانية ، ممتدّة طويلة ، يقف فيها المعلّم موقف المربّي الموجّه ، ويقف فيها التلميذ موقف المتلقّي المتعلّم ، المستجيب المتأدّب ، إذ يرى معلّمه أكبر منه سنّاً وجسماً في أكثر الأحيان ، وأكثر منه علماً ، وأجلّ قدراً ، وينظر إليه نظرة الأسوة والاقتداء .. وتبعاً لذلك ؛ فإنّه يكنّ له الاحترام والتقدير ، على حسب ما تكون هذه الصفات في المعلّم أتمّ وأكمل ، وعلى حسب ما يكون المعلّم بعيداً عن الصفات السلبية ، التي تنزع احترام تلاميذه له ، فلا ينظرون إليه نظرة التأسي والاقتداء ..

وعلى قدر ما يخلص المعلّم في عمله ، ويكون قدوة حسنة لتلاميذه ، ينظر إليه تلاميذه نظرة التقدير والاحترام ، والتأسي والاقتداء ، ويعظم انتفاعهم به واستفادتهم منه .

ولا ننسى أن من إخلاص المعلّم في عمله أن يحرص على نصح تلاميذه وتوجيههم وإرشادهم في كل مناسبة ، وأن ينتهز كل فرصة مواتية لبثّ الفضائل في نفوسهم ، والتنفير من الرذائل ، والحثّ على معالي الأمور ، والنهي عن سفسافها ..

وتتبع علاقة التلاميذ بالمعلّم علاقة آبائهم وإخوانهم وأولياء أمورهم ، وهم الذين يمثّلون روابط التلميذ الأسريّة والاجتماعيّة ، وتنعكس سلبيّاتها وإيجابيّاتها على تكوين التلميذ وسلوكه وأخلاقه .

ويلاحظ في هذا المقام أن كثيراً من أولياء الأمور ، على اختلاف دوافعهم ، يقفون من المعلّم كوقفة التلاميذ من معلّمهم .. مسترشدين مستنصحين ، يتقبّلون بصدر رحب ما يوجّه إليهم من انتقادات ، تعود إليها أسباب تقصير الطالب في دراسته ، أو إهماله في واجباته ، أو عدم تهيىء الظروف المناسبة لجدّه واجتهاده .

وهنا يبرز الدور الاجتماعيّ للمعلّم في التأثير والتوجيه أبعد من نطاق المدرسة وحدودها وأوسع ، فكلّما كان تعاون الأسرة مع المدرسة وروابطها بها أوثق كان التاثير الاجتماعيّ للمعلّم أكبر وأظهر .

وإذ كان كثير من المعلّمين لا يجاملون أولياء الأمور ولا يداروهم ، بل يصارحونهم ، ويتناولون تقصير الوالدين في مسئوليتهم ، ويقفونهم على

نقائص التربية في بيوتهم وأدوائها ، وسلبيات تصرفاتهم على سلوك أبنائهم ، مما يحرج بعض الآباء ، وهم في كثير من الأحوال قد خرجت الأمور من أيديهم ، ولم يعودوا يستطيعون تلافي التقصير ، أو تدارك الخلل ، أو لا يريدون ذلك .. ولا يخفى أنّ من طبع الإنسان الهروب من المواقف المحرجة مما يدفعهم إلى قطيعة المدرسة ، والهرب من مراجعتها ، وتجنّب التعرف على معلمي أولادهم ، والسؤال عنهم ، فيتخلّون بذلك عن مسئوليّتهم في التربية والتقويم ، وتكميل دور المعلّم والتعاون معه .. وهذا ما تكثر الشكوى منه في مختلف مراحل التعليم بصورة عامّة .

المبحث الرابع

المُعلّم في مفهوم الإسلام

إنّ أعظم مهمّات البعثة النبوية التي قام بها النبي ﷺ خير قيام ، هي المهمّة التي حُدِّدت أصولها المنهجيّة ، وميادينها التربويّة بقول الله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ الجمعة ، وكذلك مثيلات هذه الآية الكريمة في كتاب الله تعالى [1] .

فقد حددت هذه الآية الكريمة ثلاث مُهمّات كبرى للرسول ﷺ :

1 ـ **مهمة التبليغ والبيان** ، وتعريف الإنسان بمصدر التلقي ومنهجه ، وربطه به ، وتوضيح علاقته بهذا المنهج ، ومسئوليّته عن السعي ضمن حدوده وإطاره، وهي المهمة التي يشير إليها قوله تعالى : ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ .

---

(1) ـ ينظر ما كتبه حول هذه الآية الدكتور ماجد عرسان الكيلاني في كتابه : " تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، ص / 37/ فما بعد ، وقد توسع توسعاً كبيراً في تحليل مضامين هذه الآية . ومثيلات هذه الآية جاءت في سورة البقرة : / 129 و 151 وآل عمران : 164/ .

2 ـ **مهمة التربية والتعليم والتزكية** ، ويشير إليها قوله تعالى : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ ، وتشمل التزكية : **جميع الدراسات النظريّة التي تحتاجها التزكية ، وتتّصل بها ، والتطبيقات العمليّة لها ، كما تتنوّع إلى تزكية النفس ، وتزكية العقل ، وتزكية الجسم** .

ـ **وحقيقة التزكية تتلخّص في : تعزيز المرغوب فيه في السلوك الإنسانيّ ، وانتزاع غير المرغوب فيه** ، وقد لخّصها علماء التربية الربّانيّين بكلمتي : " **التخلية والتحلية** " ، فهي عمليّة تقويم وتعديل للسلوك الإنسانيّ في كلّ جانب من جوانبه [1] .

3 ـ **مهمة العمل والتطبيق والتنفيذ ، ويشير إليها قوله تعالى** : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ .

" والحكمة لا يمكن خروجها عن معنيين هما : **العلم ، وفعل الصواب** ، فهي من ثمّ تنقسم إلى حكمة نظرية ، وحكمة عملية ، ولابدّ من اجتماعهما في السلوك الكامل " [2] .

ومن أحسن وأجمع ما جاء في تعريف الحكمة قول الإمام النووي رحمه الله تعالى : " **إنّها العلم المتّصف بالإحكام ، المشتمل على المعرفة**

---

(1) ـ المرجع السابق ص / 41/ بتصرف وزيادة .

(2) ـ انظر : تفسير الإمام الرازي 2/ 347/ و 2/ 283/ في تعريف له جامع للحكمة ، وانظر : " المدخل إلى علم الدعوة " ص / 17 / ، بتصرف ، وقد اعتمدت في هذا التقسيم عليه .

بالله تعالى ، المصحوب بنفاذ البصيرة ، وتهذيب النفس والأخلاق ، وتحقيق الحقّ والعمل به ، والصدّ عن اتِّباع الهوى الباطل ، والحكيم من له ذلك " [1] .

وينبغي أن يعلم أن تعليم الحكمة النبويّة يعني ألاّ يقف التعليم عند ظواهر الأمور ، فيقتصر بذلك على التلقين غير الواعي ، والاستظهار الأعجميّ ، وإنّما يربط بين الحقائق وحِكَمها وعللها ، ويستشرف التعرّف على مقدّماتها وأسبابها ، ليكون من وراء ذلك التعامل الواعي معها ، وإجراء أحكامها على أمثالها ..

ومن ثمّ فلابدّ لنا أن نتذكّر عندما نتحدّث عن مفهوم " المعلّم " في الإسلام : أنّ التربية والتعليم ركن من **أعظم** أركان المهمّة التي بعث بها النبي ﷺ ، والتي حددها الله تعالى في الآية التي ذكرناها آنفاً .

كما أشار إليها النبي ﷺ في قوله : (.. **ولكن بعثني معلّماً ميسّراً** ...) [2] .

---

(1) ـ انظر فيض القدير للمناوي ، ج 3 ص / 416/ .

(2) ـ جزء من حديث طويل جاء في قصة تخيير النبي ﷺ لنسائه ، رواه الإمام مسلم ، والإمام أحمد ، وفيه : (إنّ الله لم يبعثني معنفاً ، ولكن بعثني معلماً ميسراً ..) .

فالإسلام دين العلم ، والعلماء في مفهوم الإسلام هم ورثة الأنبياء ،كما جاء في الحديث الصحيح : (**إنّ العلماءَ ورَثةُ الأنبياءِ ، وإنّ الأنبياءَ لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظّ وافرٍ**) [1] .

وهذا الحديث الشريف ، وما سواه في فضل العلم ، وإن يكن يتحدّث في الأصل عن العلوم الشرعيّة ، ولكنّ العلوم الكونيّة تدخل فيه من حيث غايتها وأهدافها ، ومن حيث نيّة المسلم في تعلّمها ، ودرجة انتفاع الأمّة بها ، وميادين الأخذ بها واستخدامها ..

فالعلوم كلّها ترتبط بالإسلام ، وتتّصل بمعينه ومورده في أصلها وموضوعها كما في العلوم الشرعيّة ، أو في روحها وأهدافها ، كما في العلوم الكونيّة ، ولا يعرف الإسلام والمسلمون ذلك الفصام النكد ، ولا تلك الخصومة التي شاعت في أوربا حيناً من الدهر ، وهي لا تزال تحكم تصوّرات الغربيّين ومنطلقاتهم في الحياة ومواقفهم ، وقد تلقفها بعض المتغربين من أبناء المسلمين .

إنّ الإسلام لا يعرف تلك الخصومة بين الدين والعلم .. والمسلمون كذلك في تاريخهم الطويل لا يعرفونها .. وإنّها لخصومة

---

(1) ـ جزء من حديث رواه أبو داود / 3641/ و/ 3642/ والترمذي / 2683/ وأخرجه ابن ماجه/ 223/ وصححه ابن حبان / 80/ .

حقيقيّة بين دين محرّف يتاجر به أربابه .. وبين حقائق كونيّة ، كان المسلمون أسرع الأمم إلى ارتيادها والتنقيب عنها ..

وإذا كانت الأمم تُعنى بتربية ناشئيها على العقيدة التي تؤمن بها ، فما أجدرنا نحن أمّة الإسلام ، حملة الدين الحقّ ، أن نعتني بذلك غاية الاعتناء ، لترتكز نهضة أمّتنا التعليميّة على أسس راسخة من عقيدة الإسلام ، ومبادئه وقيمه ، والتي من أهمّها :

1 ـ غرس الإيمان واليقين في صلاحية الإسلام لقيادة البشريّة وهدايتها في كلّ عصر ..

2 ـ وتنمية المشاعر الإيمانيّة ، وتربية العواطف الإسلاميّة النبيلة ، وغرس القيم الإخلاقيّة السامية .

3 ـ وبعث الروح الإسلاميّة التي تذكي في النفس طموحها إلى المثل العليا .. كي نستأنف الحياة الإسلاميّة الصحيحة ، ونحقق الانتماء الحيّ إلى أمّة الإسلام ، فنكون كما وصفنا الله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ..﴿١١٠﴾ آل عمران .

وإنّ أيّ علم من العلوم الكونيّة ، الماسّة بحياتنا المعاصرة ، ينبغي أن يُتوخّى منه ، ويحمل في طياته بناء الفكر الإسلاميّ السليم ، وتحقيق

روح الإسلام وأهدافه في بناء الإنسان المسلم ، وتكوين الأمّة المؤمنة ، وصياغة المجتمع الإسلاميّ وتأسيسه على قيم الإسلام ومبادئه ..

وإنّ هذه الأسس لهي أسسٌ لكلّ العلوم التي يتلقّاها الطالب ، بدءاً من أدنى مراحل التعليم إلى أرفع مستوياته ، لا يستثنى من ذلك علم من العلوم أو مادّة من الموادّ ، ومن الخطأ البيّن أن تُتجاوز شخصيّة المدرّس واتجاهه الفكريّ وسلوكه العمليّ ، بدعوى أنه يُعلِّم علماً من العلوم الدنيويّة ، فنقبل بذلك تجاوز الأسس والأهداف الكبرى ، والتفريط بها على حساب الأهداف الصغرى .. فنهدم بأيدينا ما ندّعي الإيمان به بألسنتنا .

وإنّ الدور التربويّ الذي يتوخّى من المعلّم ، والمهمّة العظيمة الذي تنتظر منه ، لا تقف عند أبواب منهج دراسيّ محدود .. ولا مسائل علميّة معدودة .. وإنما دوره أكبر من ذلك ، ومسئوليته أعظم : في تهذيب النفوس ، وتوجيه السلوك ، ورسم الحياة الإسلاميّة المثلى أمام الطالب ، وتحبيبه بها ، وحثّه على بلوغها ..

ونخلص من ذلك إلى أن المعلّم في مفهوم الإسلام إنما هو معلّم وداعية ومربٍّ وقدوة .. لا تقتصر مهمّته على تلقين علوم ، وتحفيظ مسائل .. وحشو معلومات في رءوس الطلاب ..

وهذا ما يقتضي أن تكون للمعلّم صفات ومؤهلات تربويّة ، منها ما يتحقّق بها في نفسه ، ومنها ما يظهر في علاقته وصلته بطلابه ، وتأثيره فيهم . وهي بمجملها تميّزه عن الموظّف المكلّف بعمل محدود ، ومهمّة معيّنة .. وهو ما سنتحدث عنه بإيجاز في المبحث التالي بإذن الله تعالى ..

المبحث الخامس

صِفاتُ المُعلّـمِ ومُؤهلاتُه التربويّة

إنّ التربية والتعليم قضيّة دقيقة دقّة النفس البشريّة في تركيبها وتقلّباتها ، وأوضاعها واحتياجاتها .. إن لم يسلك المعلّم سبيلها على هدى وبصيرة ربما أدّت إلى عكس النتائج المطلوبة ، والآثار المرجوّة ..

فكم من معلّم نفّر الطالب عن التعليم ، وصدّه عن العلم ، وقطعه عن المدرسة ؟!

وكم من معلّم أورث في قلوب طلابه عقداً من المادّة التي يدرّسها ، لا تنسى ما بقوا على قيد الحياة ؟!

وكم من معلّم كان سبب انحراف بعض طلاّبه وجنوحهم عن السبيل القويم ، الذي تتوخّى غرسه في نفوسهم مناهج التعليم .؟

إنّ التربية قوامها : علم وفنّ ، وموهبة وأخلاق ..

وهذا خلاصة ما جاء في القرآن الكريم ، والسنة النبويّة المطهّرة من العلم والحكمة والتزكية ..

ـ فأمّا العلم ؛ فلابدّ للمعلّم من أن يكون متمكّناً مما يريد تعليمه .. ملمّاً بجوانبه محيطاً بمسائله ، وتلك بدهيّة تحتاج إلى ذكر وتنويه ، ولكنّها لا تحتاج إلى مزيد بيان وتفصيل .. وقد قال الله تعالى متفضلاً على نبيّه ﷺ : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ النساء . فعلَّمه ربّه سبحانه ، قبل أن تكون مهمّته التعليم والتربية والتزكية ..

ثمّ كانت مهمّة النبيّ ﷺ في أمّته كما قال الله سبحانه : ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الجمعة .

وينبغي أن نعلم أنّ الفرق كبير بين التعليم الربّانيّ وبين تعليم البشر ، الذي يقوم على بذل الجهد والمعاناة ، والتدرّج في كسب العلوم ، واتّخاذ الأسباب للتقدّم فيها ، ويحتاج تعليم البشر إلى إعمال الفكر ، وقوّة النظر ، واستخدام الحواسّ والسمع والبصر ، فإذا استقرّ التعليم بعد ذلك في النفس ، وكان قاصراً على هذا المجال كان علماً ظاهريّاً ، لا يزيد على تثقيف العقل المادّيّ الذي يقف عند حدود الحياة الدنيا ولا يتجاوزها .. ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ الروم .

وأمّا التعليم الربّانيّ فإنّه يبْتدئ منْ إيقاظ القلب ، وتقتَرن به ثقافة العَقل ، وكُلّما ازداد العقل فيه ثقافةً ، ازداد القلب يقظةً واستجابةً لنداء

الحقّ ، ويكون تأثير التعليم الربّانيّ جليّاً في تهذيب النفس ، وسموّ شعورِها ، وصقل دوافعها ونوازعِهَا .

ـ وأمّا الفنّ ؛ فنعني به الأسلوب أو الطريقة ، التي ينتهجها المعلّم لنقل المعلومات والحقائق إلى طلابه ، ليفهموها ، ويتفاعلوا معها ، ويستجيبوا لمقتضياتها ، مما ينجح مهمّته ، فتعطي أطيب الثمرات والنتائج ..

وربّ معلّم ذي معلومات واسعة لم يتّخذ الأسلوب المناسب لعرضها ، وتقريبها إلى أذهان الطلاب ، فخاطبهم بما يعلو على أفهامهم ، ويدقّ على إدراكهم .. فبقي العلم عليهم عصيّاً مستغلقاً ..

وربّ معلّم ذي أسلوب ناجح ، غير متمكن من معلوماته ، رسخّ في أذهان طلابه معلومات غير صحيحة .

فلا غنى للمعلّم المتمكّن عن الأسلوب الناجح المؤثر ..

ـ **وأمّا الموهبة** ؛ فهي الاستعداد الفطريّ ، والملكات الخاصّة ، التي يمنحها الله تعالى بعض عباده ، ويختصّهم بها ، ممّا يؤهّلهم للتعليم بالفطرة ، فيكونون مبدعين في عملهم ، وعلى نجاح أكبر في مهنتهم ، ويؤدّون رسالة التعليم على أحسن وجه .

وشتّان بين معلّم مبدع موهوب في مهنته وعمله ، وبين معلّم قد لجأ إلى هذه المهنة لأنّه لم يتقن مهنة سواها ، فهو لا يزال متأفّفاً منها متذمّراً .!

ـ وأمّا الأخلاق ؛ فلا يمكن أن تُتصوّر رسالة المعلّم تؤدّى في المفهوم الإسلاميّ مجرّدة عن تمتّع المعلّم بقسط وافر من الأخلاق الفاضلة ، والصفات الزكيّة الحميدة ، ولقد أثنى الله تعالى على نبيّه صلوات الله وسلامه عليه أعظم الثناء بما منحه من زكيّ الأخلاق ، فقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم .

وقال سبحانه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران .

ـ وإذ كان الحديث عن صفات المعلّم ومؤهّلاته التربويّة ذا صلة ماسّة بأخلاق المعلّم الخاصّة ، فقد آن لنا أن نشرع في تعداد تلك الصفات دون الخوض في تفصيلاتها ، لأنّ ذلك يخرج بنا عن نطاق البحث وحدوده ، ولا يسمح به الاختصار الذي أخذنا أنفسنا به ، فنقول وبالله تعالى العون والتوفيق :

1 ـ إنّ أوّل صفات المعلّم ومؤهّلاته التربويّة : أن يكون قدوة حسنة لطلاّبه ، وأن يستشعر ذلك في نفسه دائماً ، وأن يحسّ طلاّبه أنّه قدوة حسنة لهم في كلّ قول أو عمل ، أو حركة أو تصرّف ..

ولابدّ للمعلّم المربّي أن يكون متأسّياً برسول الله ﷺ قبل أن يتطلّب من طلاّبه أن يتأسّوا به ، إذ كيف يكون في سلوكه قدوة لطلاّبه إن لم تكن

له أسوة حسنة يقتدي بها ويهتدي .؟! **ولا أسوة أعلى وأجلّ من النبيّ ﷺ** ..

2 ـ أن يتفنّن المعلّم في غرس الحبّ في نفوس طلابه ، وأن يشعرهم أن حبّه لهم هو الدافع للاهتمام بهم ، ومتابعتهم ، والعتب على المقصّر منهم ، بل والزجر والعقوبة أحياناً .. بمَا تقتضيه الحكمة عليهِ وما تمليْه ، وذلك ليكون الحبّ متبادلاً بين المعلّم وطلابه ، وليكمل استعداد الطلاب للتجاوب والجدّ ، ويتوجّهوا للاجتهاد والعمل .

فإذا أحبّ التلميذ معلّمه حرص بكلّ جهده على إرضائه ، وسارع إلى تنفيذ توجيهاته ورغباته ، وأقبل على العلم بكلّ شغف وهمّة ، فكان في ذلك فلاحه ورشده ..

فالحبّ يسبق التعليم والتوجيه ، ويتقدّم عليه ، وهذا ما أرشد إليه النبيّ ﷺ في هديه وتوجيهه ففي الحديث الصحيح : (أخذ رسول الله ﷺ بيد معاذ بن جبل ﷺ وقال له : (**يا معاذ ! والله إنّي لأحبّك ! أوصيكَ يا معاذُ ! لا تَدَعنّ في دُبُرِ كلّ صَلاةٍ تَقُولُ : اللهمّ أعنّي على ذِكرِكَ وشُكرِكَ وحُسنِ عِبادتِكَ**) [1] .

---

(1) ـ رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح كما في الأذكار للإمام النوويّ / 69/ ، وفي رواية أنّه كرّر له : **والله إنّي لأحبّك ثلاث مرّات** .

ـ ولا ننسى أن مباسطة المعلّم لطلابه ، وقربه النفسيّ منهم ، له أثر كبير في غرس حبّه في أنفسهم ، وجذب قلوب الطلاب إليه ، ومسارعتهم إلى الطاعة والامتثال ، ومحبّة المادّة التي يتعلمونها .. وتلك حقيقة واضحة لا ينبغي أن يغفل عنها المعلّمون المربّون ..

فمن شمائل الرسول ﷺ : " **مَن رآهُ بديهةً هابه ، ومَن خالطه معرفةً أحبّه** " [1] .

وكان ﷺ يشعر جليسه ، بأنّه أحبّ الناس إليه ، لما يرى من تواضعه ﷺ ومباسطته ، وإقباله بوجهه واهتمامه ..

3 ـ تفقد أحوال الطالب ، ومعرفة ظروفه النفسيّة والاجتماعية ، وما يواجه من عقبات ومشكلات ، ومساعدته في حلّها وتذليلها ما أمكن ..

وإذا كان ذلك في نظم التعليم المعاصرة من مسئوليّات " **المرشد الطلاّبي** " فإنّه في الأصل من مسئوليّة المعلّم المربّي ، ونظراً لقصور كثير من المعلّمين عن التأهّل لهذه المسئوليّة فقد أصبحت اختصاصاً يناط بمن يتفرّغ له ، ويتحمّل أعباءه ، كما لا يخفى أنّ العمل التعليميّ والتربويّ مسئوليّة مشتركة بين جميع المعنيّين بشَأنها ، القائمين على أمرها .

---

(1) ـ رواه الترمذي في الشمائل ص / 21/ ، وفي السنن في المناقب برقم / 3642/ .

ولا يتأتّى للمعلّم أن يكون كذلك إلاّ إذا كان دقيق الملاحظة ، ذا فطنة ونباهة ، يحوط الطلاب ويرعاهم ، ويلاحظ حركات ، ويرصد مواقفهم ، وينتبه لتكرار بعض المواقف والتصرفات منهم ، فتهمّه ويسعى إلى اكتشاف أسبابها ، ومعرفة ما وراءها .. ويرى ذلك جزءاً من مسئوليّته ومهمّته ..

وإنّ بعض المعلّمين لتقتصر علاقته مع طلابه على علاقة رسميّة شكليّة ، جافّة في كثير من الأحيان ، يلقي درسه ، ويقوم بأعمال رتيبة ، ثمّ ينصرف لم يفكّر يوماً ما أن يتفقّد أحوال طلابه ، أو يعرف ظروفهم وأوضاعهم .. ونتيجة لذلك فقد يقع منه الظلم لبعضهم ، وسوء التفسير لمواقفهم .. لأن جانباً كبيراً من أوضاعهم قد خفي عنه ولم يعرفه ..

4 ـ ومن صفات المعلّم ومؤهّلاته التربويّة : أن يحرص ما استطاع على الطالب ، ويهتمّ به ، وقد سجّل القرآن الكريم هذه الصفة للمصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فقال سبحانه : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ التوبة .

وإنّ التعليم لمسئوليّة جليلةٌ ، سوفَ يُسأل المعلّم أمامَ الله تعالى عما استرعاه من رعيّته ، فلابدّ للمعلّم أن يعمّق في نفسه الشعور بهذه المسئوليّة ، ليعطيها حقّها ..

ولقد بلغ من حرص النبي ﷺ واهتمامه بقومه ، أن تنزّلت آيات من القرآن الكريم تأمره ألاّ يحمّل نفسه من الأمر ما لا يطيق : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾ الكهف .

وقال تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣ ﴾ الشعراء .

وقال سبحانه : ﴿.. فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ ﴾ فاطر .

5 ـ المتابعة الدقيقة ، والتوجيه المستمر ، والصبر والدأب ، وعدم الملل أو السأم ، إذ إنّ التربية عمليّة مستمرّة متجدّدة ، لأنّ النفس البشريّة دائمة التقلّب ، متعدّدة المطالب ، متشعبّة الاتجاهات ، متنوّعة الاهتمامات .

فالتوجيه يحتاج إلى متابعة ، والحالة المستجدّة تحتاج إلى توجيه جديد ، ثمّ التوجيه الجديد يحتاج إلى متابعة .. ثم المعاني القديمة في التوجيه تحتاج إلى تذكير وتجديد ، وإعادة بحث وتأكيد .. وهكذا .!

وتلك حاجة فطريّة يدركها كلّ عاقل من نفسه ، ويحسّ بها ويلاحظ آثارها ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ الذاريات .

وقال سبحانه : ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ الأعلى .

ومن لم يفقه هذه الطبيعة في النفس البشريّة سارعت إليه الملالة ثم السأم ، فالقنوط من التربية والاصلاح .. ثم يتحوّل في عمله إلى موظّف لا روح عنده ، ولا تأثير في كلامه ..

ـ ومن هنا جاء التوجيه القرآنيّ الكريم : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ طه .

فالأمر بالصلاةِ يحتاج إلى الاصطبار ، وهو أبلغ من الصبر ، والاصطبار على الأمر بالصلاة من التقوى ، التي يَعِدُ الله المتحقّق بها أحسن العواقب .

ـ وفي وصيّة لقمان لابنه وهو يعظه : ﴿يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ لقمان .

6 ـ ملاحظة الفروق الفرديّة بين الطلاب ، ومراعاتها في التعامل : تعليماً ، وتربية ، ومتابعة ورعاية .

وقد أشار القرآن الكريم إلى قضيّة الفروق الفرديّة في مناسبات عديدة ، منها قوله تعالى : ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً.. ﴿١١٣﴾﴾ آل عمران .

وجاء في الحديث عن عليّ ﷺ : " حدّثُوا الناسَ بما يعرفون ، أتحبُّون أن يُكذّبَ اللهُ ورسولُه .؟! " [1] .

وفي الحديث أيضاً : " أنزِلُوا الناسَ منازلهم " أو : " أمرنا رسولُ اللهِ ﷺ أن نُنزِل الناسَ منازلهم " [2] .

7 ـ أن يكون المعلّم متحلّياً بالحكمة في شخصيّته وسلوكه ، وتصرّفاته ومواقفه .

وتعليم الحكمة والسير على مقتضاها من أعظم مهامّ البعثة المحمّديّة كما مرّ بنا قريباً ، قال تعالى : ﴿.. وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ .. ﴿١٦٤﴾﴾ آل عمران .

وهي خير ما يُعطي الله عباده من الخير والفضل والتوفيق ، قال تعالى : ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ البقرة .

---

(1) ـ رواه البخاريّ عن عليّ ﷺ موقوفاً ، وروي مرفوعاً وبألفاظ أخرى ، انظر كشف الخفاء : 1/ 421 و 225 / .

(2) ـ رواه مسلم في مقدّمة صحيحه ، ورواه أبو دادود ، انظر كشف الخفاء : 1/ 421 .

ـ **وميدان الحكمة واسع فسيح** ، لا تحدّه الكلمات ولا تحكمه ساحات السطور ، في الوقت الذي فاضت به جوانب السيرة النبويّة العطرة ، على صاحبها أفضل السلام ، وأزكى التحية ؛ ولكنّنا نشير إلى أهمّ مظاهر الحكمة ، التي ينبغي أن يتحقّق بها المعلّم المربّي ، في تصرفاته وسلوكه :

ـ **فمن الحكمة** ؛ بعد النظر ، واتزان المواقف ، وضبط النفس ، فلا يجمح بالمعلّم الهوى ، ولا يستفزّه الغضب ، ولا يخرج به عن العدل والانصاف ، والدفع بالتي هي أحسن ، والحلم وكظم الغيظ ، وحفظ اللسان وحسن التصرّف ..

ـ **ومن الحكمة** ؛ التربية بالحال والسلوك قبل المقال ، والاستغناء بالاشارة عن العبارة ، وبالتلميح عن التصريح .. ما أمكن ذلك ..

ـ **ومن الحكمة** ؛ إيثار الأرفق والأيسر ، مالم يكن إثماً ، والتغاضي ما أمكن ذلك ، بلا تفريط فيما يجب ولا تضييع ، وقد كان من هدي النبيّ ﷺ وشمائله : " **مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلاّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِهِ إلاّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله فَيَنْتَقِمَ لله بِهَا**) ، كما تقول السيّدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها [1] .

---

(1) ـ رواه البخاريّ / 3296/ .

وفي الحديث الصحيح : (**عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ ، فإِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاّ زَانَهُ ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلاّ شَانَهُ**) [1] . ومعنى شَانَهُ أي عابه وانتقصه .

ـ **ومن الحكمة** ؛ مراعاة الضعف البشري ، وتقدير تقلبات النفس بين القوة والضعف والصحة النفسية والمرض .. والمطالبة بالقدر الوسط الذي يناسب الأكثريّة ، والواقعيّة وعدم الجنوح إلى مثالية مرهقة للنفس ، بعيدة عن الواقع ..

ـ **ومن الحكمة** ؛ أن يعتمد المعلّم الأسلوب غير المباشر في التربية والتوجيه فيما يناسب ذلك ، ويبتعد عن توجيه اللوم المباشر ، أو الإكثار من التأنيب والتقريع ..

ـ **ومن الحكمة** ؛ ربط التعليم والتربية بالواقع واتّصاله به .. إذ إنّ كلّ ما يربط بالواقع تتفاعل به النفس ويحفظ ، ويُقبل ويُؤلَف .. وكلّ ما سبق له أدلّته الكثيرة من سيرة النبيّ ﷺ وهديه ، وأخلاقه ﷺ العطرة وحكمته ، ويطول بنا القول لو ذهبنا ندلّل عليه ، ونستشهد له .

ـ **ومجمل القول** : إنّ العمل التربويّ ، والجهاد التعليميّ ليس الواحد منهما مجرد أوامر ونواهٍ تصدرها جهة عليا إلى جهة دنيا .. كالأوامر العسكريّة لا خيار للجهة المتلقية عن الطاعة والانقياد ،

---

(1) ـ رواه مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها / 2593/ .

والالتزام والتنفيذ .. إنّ التعلّم تفاعل مستمرّ ، وحوار بنّاء بين المعلّم والمتعلّم ، إنّه عمل يعتمد أوّلاً على غرس المفاهيم والإقناع بها ، والترغيب في التزامها ، وبيان عاقبة تركها أو مخالفتها ..

إنّه بكلمة موجزة : عمل يعتمد في نجاحه على قدرة المعلّم المربّي على فتح العقول والقلوب ، والتأثير فيها بإذن الله تعالى .

وإنّ السرّ وراء الإخفاق التعليميّ أو التربوي في حياة بعض المعلّمين ، إنّما يعود إلى ممارسة التربية والتعليم على أنّها أوامر تلقى ، ونواهٍ ينهى عنها ، لا اجتهاد فيها في بلوغ غاية ، أو اجتناء ثمرة ، ولا تفنّن فيها بما يبلغ القلوب ، ويُليّن عَصيّ النفوس ..

وبعد ؛ فإن لم يتحقّق المعلّم بهذه الصفات التربويّة المؤهّلة ، ويكن على قدر معقول منها ، في نفسه وسلوكه وعلاقته ، فإنّه لن يكون إلاّ موظّفاً ، أو أشبه بالقائد العسكريّ ، الذي لا يعرف إلاّ إلقاء التعليمات والأوامر ، ولابدّ له لبلوغ هذه الغاية من العصا الغليظة ، التي يهدّد بها في كلّ لحظة .. ولن يكون بعد ذلك إلاّ مخفقاً في مهمّته ، قاصراً عن أداء رسالته ، ولعلّ هذا من أسباب إصرار بعض المعلّمين على اتّخاذ العصا وسيلة وحيدة للعقاب يلجأون إليها في كلّ موقف .! ولكن ؛ **هل نستطيع أن نتصوّر معلّماً تحقّق بهذه الصفات الآنفة الذكر .. ثمّ كان بعد ذلك موظّفاً أو شبه موظّف** ..؟

إنّنا لا نستطيع الجواب سلباً أو إيجاباً إنطلاقاً من هذه الصفات التربويّة المؤهّلة ، واكتفاء بها .. إنّها حقّاً صفات ضرورية لازمة ، ولكنّها غير كافية .. فهناك بعض الأمور الخارجة عن شخصيّة المعلّم واستعداده ومواهبه .. قد تهيمن على تصوّراته وتضغط على سلوكه ، فتضعف رسالته التربويّة، وتحوّله إلى موظّف ، يقوم بمهمّة روتينيّة قاصرة .. وهي موضوع حديثنا في النقطة التالية بإذن الله تعالى ..

المبحث السادس

أسبابٌ أخرُ تحوّلُ المعلّمَ إلى موظّف

إنّ هناك أسباباً أخرى ، تحوّل المعلّم إلى موظّف ، منها ما يخرج عن إرادة المعلّم ، ومنها ما يتّصل بشخصيّته وتكوينه وواقعه ، هذه الأسباب تُضعف في نفس المعلّم شعوره برسالته التربويّة ، ثمّ يزداد هذا الضعف في حياته ، فيتحوّل مع الأيّام عن رسالته المتميّزة إلى موظّف ، يقوم بعمل روتينيّ آليّ ، فيفقد الروح في عمله ، واللذة في جهاده وتضحيته ..

ونعدّد هذه الأسباب تعداداً ، وهي تدلّ على ما وراءها وتلمح إليه ، فمن هذه الأسباب :

1 ـ **فقد التصوّر الصحيح عن الأهداف التربويّة العامّة والخاصّة من فهم المعلّم وشعوره** ، أو ضعفها أو الغفلة عنها ، أو ضعف متابعة الموجّهين المشرفين للاهتمام بها وملاحظتها حين أداء المعلّمين لعملهم التربويّ .. والمعلّم بحاجة ماسّة إلى أن تقدّم له كاملة موضّحة ، وأن يذكّر بها بين الحين والآخر ، بل بصورة دائمة .. وأن يعرف الآليّات التربويّة لتطبيقها الميدانيّ من خلال عمله التربويّ ، وعلاقاته المميّزة مع طلاّبه .

وإنّنا لنجد في سياسة التعليم في المملكة العربيّة السعوديّة ما يوضّح لكلّ معلّم هذه الأهداف ، ويضعه أمام مسئوليّته الشرعيّة والمسلكيّة لتنفيذها وتحقيقها ..

وكثير من المعلّمين هم بحاجة إلى أن تشرح لهم أبعاد هذه الأهداف ، وكيفيّة التعامل بها ، وتنزيلها على الواقع التعليميّ والتربويّ ، الذي يقومون به ويمارسونه يوميّاً ، ليكون عملهم محقّقاً لأهدافه ، مرتبطاً بغايته على أحسن وجه وأرفع مستوىً .. ثمّ هم بحاجة إلى المتابعة والتذكير ، بل والمحاسبة على الإخلال بها أو تجاوزها ، وبخاصّة من ناحية العمل والسلوك .

2 ـ **بُعد بعض المعلّمين عن الالتزام الإسلاميّ** ، وفقد الهدف السامي الذي يعمل لأجله من تصوّره وسلوكه ..

3 ـ **ضعف مستوى بعض المعلّمين علميّاً وثقافيّاً** ، ورضاهم بما هم فيه ، من تدنّي المستوى ، وضحالة الفكر ، ثمّ تراهم لا يسعون إلى رفع مستواهم ، ولا يجدون من طبيعة النظام التعليميّ وآليّات عمله ما يطلب منهم ذلك ، مما يجعلهم يعيشون حالة من التآكل مع الزمن ، والتخلّف عن مستوى العصر الذي يعيشون فيه ..

4 ـ **استمرار بعض المعلّمين في تدريس منهج معين** ، ولمستوى معين ، سنوات طويلة قد تبلغ عشرين سنة أو أكثر ، مما يورثه الملل ، ويحوّل

عمله إلى عمل روتينيّ رتيب ، ويفقده التجديد في أسلوبه وطريقته ، ونرى بعض المعلّمين قد يعدّ ذلك خيراً له ، لأنّه يُعفيه من تعب التحضير الجديد ، وتركيز المعلومات وتجديدها.

5 ـ **كثرة الأعمال الشكليّة التي تطلب من المدرّس** ، وتأخذ وقته ، وتستهلك نشاطه ، وتضغط بأعبائها عليه ، فتشغله عن التفكير برسالته التربويّة وأهمّيّتها ، فضلاً عن أدائها والقيام بحقها على خير وجه ..

ومما يزيد في ذلك ، أن محاسبة المدرّس على عمله من قبل الإدارة ، ومن قبل الموجّهين الزائرين ، إنما تتركّز بالدرجة الأولى على تلك الجوانب الشكليّة ، ويُقوّم المدرس من خلالها .. مما يكرّس في نفسه أن هذه الشكليّات هي جوهر عمله ولبّه ، وقصارى ما يطلب منه ، وأنّ ما يقال عن روح التربية والتعليم ، وأهدافها التربوية ، نافلةٌ من القول وفضول ..!

وليس بعد الواقع العمليّ الذي يسأل عنه المعلّم ويحاسب عليه من حجّة أوضح ، أو بيان أبلغ .

وثمّت ملاحظة أخيرة : إنّ أكثر أنظمة التعليم في البلدان الإسلاميّة تعتني بالشكل على حساب المضمون ، وترجّح ظواهر العمل التعليميّ على أسسه ومبادئه ، ويهمّها " الكمّ " ، وتُقوّم النجاح

التعليميّ على أساسه ، دون " الكيف " والنوعيّة " التي هي روح العمل التربويّ ، وثمرته ولبّه ..

ومن هنا يكلّف المدرس بأعباء تجعله يهمل " **نوعيّة مُهمّته وأهدافها** " على حساب الوفاء بالالتزامات الشكليّة الظاهرة للعمل ، والقيام بها ، فيتدنّى مستوى عمله ، ويفقد روحه ولذّته ، ويتحوّل هو نفسه إلى موظّف يقوم بعمل شكليّ مملّ ..

تلك في تصوّري ونظري أظهر الأسباب التي تحوّل " المعلّم " إلى " موظّف " .. وتحول بين المعلّم وبين أداء رسالته التربويّة على الوجه الصحيح المطلوب .. وإنّ تداركها ليحتاج إلى تعديل في نظم التعليم نفسها .. ومراجعة آليّات العمل والمتابعة فيه ، فما نهضت أمّة من أمم الأرض ، إلاّ بعد أن توجّهت عنايتها إلى التعليم ونُظمه ، ومنطلقاته وأسسِه .. وأساليب العمل والمتابعة ، ثمّ اعتنت بالمعلّم الذي هو أساس نجاح أيّ خُطّة تعليميّة ، وعماد تنفيذها وتحقيق أهدافها ..

الفصل الثاني

آداب العالم والمتعلّم

إنّ أهمّ ما يميّز الحضارة الإسلاميّة في كلّ جانب من جوانبها ، وفي ثقافتها وعلومها على وجه الخصوص : أنّها حضارة القيم الإنسانيّة الرفيعة ، يزيّن كلّ شيء فيها فضائلُ ساميةٌ ، وآدابٌ دقيقةٌ ، تُضفي عليها ثوب الجمال والكمال ، وحلية الحسن والبهاء ، وتجعل الحياة في رحابها تشعّ بالخير والعطاء ، وتبلغ أعلى ما يتصوّر لها من رفعة ومجد ، وتحقّق أَقصى ما تطمح إلَيه النفس البشرِيّة من السعادة للفرد والجماعة ..

ذلك لأنّها ربانيّة المصدر ، واقعيّة الاتّجاهات ، تستمدّ قيمهَا ومفاهيمها من كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ﷺ ، فثقافة حضارتنا التي تبنى على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر ، تهتمّ بغايات الأشياء ، وأصولها الراسخة ، وهي تجمع بين الغايات والوسائل ، وبين العلم والإيمان ، وَبين الحقّ وَالخير ، وبين الكمَال والجمال ولا تجعل الدين بديلاً عن العلم والحضارة ، ولا عدوّاً لهما ، وإنما هو الإطار والمحور ، والغاية والمنهج ، الذي تحكَمُ شُئون الحياة كلّها من خلاله .. بينما تقوم الثقافة

الماديّة على الأسباب المادّيّة والمظاهر ، وتقتصر مقاصدها على الوصول إلى المنفعة الخاصّة ، ولو كان ذلك بتعطيل مصالح الجماعة وإهدارها.

ومن ثمّ فقد كان الأدب في الإسلام شعارَ المسلم ودثاره ، وتاجَه وفخاره ، في كلّ شأن من شئون حياته.

وإنّ من الخداع والتلبيس ، أو من الجهل وسطحيّة الفهم : أن نضع المنهج الإلهيّ في كفة ، والإبداع الإنسانيّ في عالم المادّة والحياة في كِفّة أخرى .. ثمّ نطلب من الإنسان أن بوازن بينهما ويختار .. فيظن أنّه أمام معادلة مُسلّم بها .. فيقع في شرَك أعداء الله ، وأعداء الإنسانيّة على حدّ سواء ..

إنّ شقاء الإنسانيّة اليوم في انفصال العلم عن الإيمان ، وانفصال المؤسسات التعليميّة والفكريّة عن الأخلاق والقيم ، والغايات الصالحة السامية .. وما لم نتدارك ذلك في تعليمنا وتربيتنا ، ونعود إلى أصالتنا الثقافيّة المتميّزة ، فإنّنا مهدّدون بالذوبان في أحماض هذه المدنيّة الزائفة ، وتمزّقاتها المشوّهة ..

لقد أبدعت هذه المدنيّة **" آلات "** ، ولكنّها لم تستطع السيطرة عليها ، لأنّ حضارتها لم تقم على القيم الحقّة ، وإنما قيمها ماديّة نفعيّة بحتة .. فصارت الحياة أرقاماً وآلات ، وملوّثات وغازات ... وأصبحت السعادة مقيسة بعدد ما لديها من وحدات حراريّة ،

وإمكانات مادّيّة ، وصار العصر عَصْرَ كَمٍّ يخضع الضمير فيه للتنافس الكميّ ، كما صار عصر النسبيّة الأخلاقيّة ، فلم يعد أحد يدرك معنى الفضيلة المطلقة ، أو مفهوم العدالة الحقّة .. وانحطّت الحياة الاقتصاديّة عندما احتكم الناس إلى المنطق القائل : **" الحقّ لمن غلب "** ، وعندما أصبحت فلسفة التجارة : أنّها السرقة الحلال ..

أمّا ثقافتنا الإسلامية ، فهي ربّانيّة المصدر والهدف ، إنسانيّة النزعة والمبدأ ، عالميّة الأفق والرسالة ، روحها الآداب التي تحكمها ، وتجمّل حدودها وحقائقها ، وتزن بوادرها وشواردها ..

ـ حكى الأصمعي رحمه الله تعالى : أنّ أعرابياً قال لابنه : **" يابني ! الأدب دعامة أيّد الله بها الألباب ، وحلية زيّن الله بها عواطل الأحساب ، فالعاقل لا يستغني وإن صحّت غريزته عن الأدب المخرج زهرته ، كما لا تستغني الأرض وإن عذبت تربتها عن الماء المخرِج ثمرتَها "** .

فما خلقَ الله مثلَ العُقول

ولا اكتسبَ الناسُ مِثلَ الأدب

وقال الإمام الماورديّ رحمه الله تعالى في كتابه : **" أدب الدنيا والدين "** :

" اعلم أنّ النفسَ مجبولةٌ على شِيمٍ مُهملة ، وأخلاق مُرسلة ، لا يستغني محبوبها عن التأديب ، ولا يُكتفى بالمرضيّ منها عن التهذيب ، لأنّ لمحمودها أضراراً مقابلة ، يسعدها هوى مطاع ، وشهوة غالبة ، فإن أغفل تأديبها تفويضاً إلى العقل ، أو توكّلاً على أن تنقاد إلى الأحسن بالطبع ، أعدم التفويض درك المجتهدين ، وأعقب التوكّل ندم الخائبين ، فصار من الأدب عاطلاً ، وفي صورة الجهل داخلاً ، لأنّ الأدب مكتسب بالتجربة ، أو مستحسن بالعادة ، ولكلّ قوم مواضعة ، وكلّ ذلك لا ينال بتوقيف العقل ، ولا بالانقياد للطبع ، حتّى يكتسب بالتجربة والمعاناة ، ويستفادة بالدربة والمعاطاة ، ثمّ يكون العقل عليه قيّماً ، وزكيّ الطبع إليه مُسلّماً .. " .

ـ **وبعد** : فلقد أخذ سلفنا أبناءهم بالأدب في كل شأن من شئون الحياة : في العلاقة مع الله تعالى ، وفي تهذيب النفوس وتزكيتها ، وفي العلاقة مع الناس ، بدءاً بالوالديْن والقرابة ، وكلّ ذي رحم ، إلى الجيران والأصحَاب ، وانتهاءً بالعلاقة مع الناس كلّ الناس ، ولو كانوا أعداءً محاربين فقانون الحرب معهم له آدابه التي تحكمه وتلجمه ..

فمن ثمّ فقد كانت مجتمعات سلف هذه الأمّة متماسكة البنيان ، وطيدة الأركان ، تقوم العلاقة بين أفرادها على أوثق العرا ، وأزكى الروابط ، وكانت صورة مجتمعاتهم وطبيعة علاقاتهم دعوةً إلى الإسلام

حيّة مؤثّرة في أبناء كلّ الملل ، وأهل الأديان ، الذين اختلطوا بهم ، أو تعَاملوا معهم ..

ولا بدّ لنا من إحياء هذه الروح في تربيتنا وتعليمنا ، لتزدهر مجتمعاتنا ، وتترسخ دعائم نهضتنا ، ولا يخفى أنّ متعلّمي اليوم ، هم معلّمو الغد ، وأنّ مستقبل مجتمعاتنا إنّما تصنعه النخبة المعلّمة في يومنا ..

ـ هذا وقد رأيت أن أتحدّث عن هذا المبحث في ثلاثة مباحث :

.المبحث الأول : آداب المُعلّـم وأخلاقه .

.المبحث الثاني : أهـمّ آداب المُتعلّـم .

.المبحث الثالث : آداب المُناقشات العلميّة .

المبحث الأول

آداب المُعلّـم وأخلاقه

1 ـ أن يقصد بتعليمه وجه الله تعالى ، ولا يريد ممن علّمه جزاءً ولا شكوراً ، بل يشعر بمنّة الله عليه أن سخّره لخدمة العلم وأهله وطلابه .. قال الله تعالى ممتنّاً على نبيّه ﷺ : ﴿.. وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ النساء .

ـ وأن يطلب ثواب الله تعالى بما يقوم به من جهد ، وما يقدّمه من إرشاد وتوجيه ، فثواب الأعمال ، وبركتها على عامليها إنما يكون على قدر حسن النيّة وصحة المقصد ، ففي الحديث الشريف : (**إنّما الأعمالُ بالنيّاتِ ، وإنما لِكلّ امرئٍ ما نوَى ..**) [1] .

والإخلاص في التعليم شعار السادة المرسلين عليهم الصلاة والسلام : ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ ص ، وينبغي

---

(1) ـ جزء من حديث مشهور رواه جمع من الحفّاظ منهم البخاري 1/ 7 و15 ومسلم / 1907/ .

أن يكون كذلك شعار العلماء والمعلّمين ، الذين هم ورثة الأنبياء وحملة علومهم ..

2 ـ الشفقة على المُتعلّمين والرفق بهم ، وتقدير استعداداتهم وتحمّلهم ، كشفقة الآباء على الأبناء : ففي الحديث الشريف : (**تعلّمُوا العِلمَ ، وتعلّمُوا للعلمِ السكينةَ والوقارِ ، وتواضعُوا لمن تَتعلّمُون منهُ**) .

ـ **ومن الشفقة على المتعلّم والرفق به** : تيسير العلم عليه ، بحسن أدائه وجودة إلقائه ، فقد كان النبيّ ﷺ إذا تكلّم كلمة أعادها ثلاثاً حتّى تفهم عنه ..

ـ **ومن الشفقة** : بذل المجهود في التوجيه والنصح والمعونة ، فإنّ ذلك أعظم للأجر ، وأسنى للذكر ، وأنشر للعلم ..

ـ **ومن الشفقة على المتعلّم** : ألاّ يكثر عليه في المجلس الواحد .. فقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يذكّر الناس كلّ خميسٍ ، فقال له رجل : " يا أبا عبد الرحمن ! لوددتُ أنّك ذكّرتنا كلّ يوم .!

" قال : أما إنّه يمنعني من ذلك أنّي أكره أن أملّكم ، وإنّي أتخولّكم بالموعظة ـ أي أتعهّدكم بها وقتاً بعد وقت ـ

كما كان النبيّ ﷺ يتخوّلنا بها مخافة السآمة علينا .." [1] .

---

(1) ـ رواه أحمد 1/ 427/ .

ـ ومن الشفقة على المتعلّم والرفق به : الالتزام بمنهج الشرع في التأديب والتهذيب ، وعدم تجاوز ذلك انسياقاً وراء العادات والأعراف ، أو استجابة لردود الفعل على مواقف الناشئ ، وما قد يصدر عنه من طيش أو قصور .. إذ إنّ ضرر ذلك على الناشئ لا يوصف ولا يقدّر ، وربّما كان ذلك سبب تركه لسبيل العلم ممّا يُغيّر منحى حياته ، ويغلق المستقبل المزدهر في وجهه ، ثمّ لا يزال يذكر أستاذه الذي كان سبب ذلك بالسوء والشعور بالظلم ..

يقول الإمام ابن خلدون رحمه الله : **" من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلّمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر ، وضيّق عن النفس في انبساطها ، ودعاه إلى الكسل ، وحمله على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه "** .

وقد روي عن عمر بن الخطّاب ﷺ أنّه قال : **" من لم يؤدّبه الشرع لا أدّبه الله "** ، والمقصود بهذه الكلمة الالتزام بما حدّه الشرع من نوع التأديب وقدره ، **" حرصاً على صون النفوس من مذلّة التأديب الخارج عن الحدّ الشرعيّ ، لأن المقدار الذي عيّنه الشرع لذلك أملك له ، لأنّه أعلم بمصلحته "** .

ويقول الإمام ابن خلدون أيضاً : " **ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدّم به الرشيد لمعلّم ولده الأمين ، فقال : يا أحمر ! إنّ أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصيّر يدك مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرّفه الأخبار ، وروّه الأشعار ، وعلّمه السنن ، وبصّره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلاّ في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القوّاد إذا حضروا مجلسه ، ولا تمرّنّ بك ساعة إلاّ وأنت مغتنم فائدة تفيده إيّاها ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدّة والغلظة** " [1] .

3 ـ **ومن آداب المعلّم وأخلاقه** : التواضع ولين الجانب ، وترك العجب بالنفس والعلم ، وأن يعرف أقدار من سبقه من أهل العلم ومن فوقه ، وأن يردّ علمه إلى فضل ربه وتوفيقه .. قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ .. ﴿٥٣﴾ ﴾ النحل . والعلم من أعظم نعم الله وأجلّها ..

وقال سبحانه : ﴿ .. سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ البقرة .

---

(1) ـ مقدّمة ابن خلدون " ص/ 541/ .

وقال سبحانه : ﴿..وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ يوسف ، حتّى ينتهى العلم إلى الحقّ تبارك وتعالى .

وقد جاء في الأثر : " **ولا تكونُوا مِن جبابرةِ العلماءِ ، فلا يقومُ علمُكم بجهلِكم** " .

4 ـ **ومن آداب المعلم وأخلاقه** : أن يترك العجب بما يحسن ، والتكلّف لما لا يحسن ، فإذا سئل عمّا لا يدري ، يقول : لا أدري ، ولا يتكلّم بما لا يعلم ، فتلك مسئوليّة يحاسب عليها .

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ الإسراء .

ومن دعاء الجاحظ : " **اللهمّ إنّا نعوذُ بكَ مِن فتنةِ القولِ ، كما نعوذُ بكَ مِن فتنةِ العملِ ، ونعوذُ بك مِن التكلّفِ لما لا نحسِنُ ، كما نعوذُ بكَ مِن العُجبِ بما نحسِنُ ، ونعوذُ بك مِن شرِّ السَّلاطةِ والهَذَر ، كما نعوذُ بكَ مِن شرّ العِيّ والحصَرِ** .." . والسلاطةُ : حِدّةُ اللسانِ ، والهذَرُ : إكثار الكلام بغير فائدة .

ـ **وقد كان من أهمّ آداب علمائنا** أنّهم كانوا يعلّمون الطالب بسلوكهم وحالهم قول : " لا أدري " ، في كلّ ما كانوا يسألون عنه مما لا علم لهم به .. ولا يستحيون من ذلك ، ولا يبالون بما يقال عنهم ..

ـ وقد سُئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله عن مسائل كثيرة ، فقال في أكثرها : " لا أدري " ، فعندما ألحّ عليه السائل في طلب الجواب ،

قال له : قل للناس : إنّ مالكاً قال : لا أدري .. " وهذا من حرصه رحمه الله على أمانة العلم ، وتقدِيره لعظيم حقه ..

5 ـ **ومن آداب المعلّم وأخلاقه** : أن يبذل العلم لطالبه ، ولا يبخل بتعليم ما يعلم ، ولا يمتنع من الإفادة به ، فإن كتم العلم الذي يحتاجه الناس لا يجوز ، ولو استنّ بذلك من علّمه لما وصل العلم إليه .

قال الله تعالى : ﴿**وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾**﴾ آل عمران .

ـ وفي الحديث : (**مَن سُئلَ عن عِلمٍ فكتمَه أُلجمَ يومَ القيامةِ بلجامٍ مِن نارٍ**) [1] .

ـ وقال بعض العلماء : " إني لأفرح بإفادتي المتعلّم ، أكثر من فرحي باستفادتي من المعلّم " .

ـ وللمعلّم في بذل العلم ، وتعليمه لطالبه نفعان :

ـ **الأول** : ما يرجوه من ثواب الله تعالى ، بتعليم الجاهل ، ونشر العلم ، وبذل الخير ..

---

(1) ـ رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبّان والحاكم ، وصحّحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال الترمذي : حديث حسن .

ـ **الثاني** : زيادة العلم ، وإتقان الحفظ ، فإنّ ترك المعلّم للتعليم ينسيه العلم .

قال الخليل بن أحمد رحمه الله : " **اجعل تعليمك دراسة لعلمك ، واجعل مناظرة المتعلم تنبيهاً على ما ليس عندك** " ..

ـ وإنما يعطى الطالب على قدر ما يتأهّل له في نظر معلّمه ، فربّ علم كان على متعلّمه فتنة .

ـ سأل تلميذ عالماً عن بعض العلوم ، فلم يفده ، فقيل له : لم منعته ؟ فقال : " **لكلّ تربية غرس ، ولكلّ بناء أسّ** " .

ـ وقال بعضهم : " لكلّ ثوب لابس ، ولكلّ علم قابس " .

ـ وقال بعض الأدباء : " ارثِ لروضة توسّطها خنزير ، وابكِ لعلمٍ حواه شرّير .. " .

6 ـ وينبغي أن يكون للمعلّم فراسة يتوسّم بها المتعلّم ، ليعرف مبلغ طاقته ، وقدر استحقاقه ، ليعطيه ما يتحملّه بذكائه دون ما لا يستطيع حمله ، أو القيام بحقّه ، لأن ذلك قد يثبط همّة المتعلّم ، ويفلّ عزمه ..

فالمعلّم لا يعدم أن يكون في طلابه الذكيّ الذي يحتاج إلى الزيادة ، والبليد الذي يكتفي بالقليل ، أو ينوء بحمله ..

ـ وقد سبق حديث عليّ ﷺ : " **حدّثوا الناس بما يعرفون ، أتحبّون أن يُكذّبَ الله ورسوله .؟!** " .

ـ وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : " لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه " .

ـ وقال ابن الروميّ في العالم المتفرّس :

ألمعيٌّ يرى بأوّلِ رأيٍ
آخرَ الأمرِ مِن وراءِ المغيبِ
لوذعيٌّ له فؤادٌ ذكيٌّ
ماله في ذكائه من ضريبِ
لا يُرَوّي ولا يُقَلّبُ كفّاً
وأكفّ الرجالِ في تقليبِ

7 ـ ومن أهمّ آداب المعلّم وأخلاقه : أن يعمل بعلمه ، ويأتمر بما يأمر الناس به ، وإلاّ كذّب فعلُه قوله ، وقد ندّد الله تعالى بمن كان كذلك فقال سبحانه : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ البقرة .

ـ وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الصفّ .

ـ وحكى الله تعالى عن شعيب عليه السلام قوله لقومه : ﴿.. وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ هود .

ـ وضرب الله مثلاً لمن لا يعمل بعلمه ولا ينتفع به ، بالحمار في عجمته وبلادته فقال سبحانه : ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾ الجمعة .

ـ وفي الحديث الشريف : (**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلاهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا وَضَعَهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ**) [1] .

ـ وفي الحديث أيضاً : (**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَيَقُولُونَ : يَا فُلانُ ! مَا لَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَى**

---

(1) ـ رواه الترمذيّ / 2341/ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ، وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، ورواه البزّار والطبرانيّ بإسناد صحيح .

عَنِ المُنْكَرِ ؟! فَيَقُولُ : بَلَى ، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ولا آتِيهِ ، وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ) [1] .

ـ وقديماً قال الشاعر عائباً على من يخالف القول منه الفعل :

وغيرُ تقيٍّ يأمُرُ الناسَ بالتقى
طَبِيبٌ يُداوِي الناسَ وهو سَقيمُ
يا أيّها الرجلُ المعلّمُ غيرَه
هلاّ لنفسِك كان ذا التعليمُ ..؟
ابدأ بنفسِك فانهَها عَن غيّها
فإذا انتهَت عنه فأنتَ حَكيمُ
لا تَنهَ عن خُلُقٍ وتَأتيَ مِثلَه
عارٌ عَليكَ إذا فَعلتَ عَظيمُ

ـ وقال آخر :

لو كان في العلمِ مِن دُونِ التُّقى شَرَفٌ
لكان ذا الفضلِ بين الخلقِ إبليسُ

ـ وقال بعضهم :

عوّد لِسانَك قِلّةَ اللفظِ

---

(1) ـ رواه البخاري 6/ 238 ومسلم / 2984/ وأحمد 5/ 205 و206 و 207 و209 .

واحفَظ كلامَك أيّما حِفظِ
إيّاك أن تَعِظَ الرجالَ وقد
أصبحتَ مُحتاجاً إلى الوَعظِ

ـ ووعظ أحمدُ الغزالي أخاه الإمام أبا حامد رحمهما الله تعالى ، وهو يخشى عليه أن يشغله وعظ الناس عن وعظ نفسه ، وحملها على الخير ، وعظه بأبيات قال له فيها :

أخذتَ بأعضادِهم إذ وَنَوا
وخلّفكَ الجَهدُ إذ أسرَعُوا
وأصبحتَ تَهدِي ولا تَهتدِي
وتُسمِعُ وَعظاً ، ولا تَسمَعُ
فيا حَجَرَ الشّحذِ حتّى متى
تَسُنُّ الحدِيدَ ولا تَقطَعُ .؟

ـ وقال بعض السلف : " **العلمُ يَهتفُ بالعملِ ، فإن أجابه ، وإلاّ ارتحل .. "**

فبركة العلم وثمرته : العمل به ، ولن يكون الانتفاع منه بغير ذلك ..

ـ وقال عليّ ﷺ : " قصم ظهري رجلان : عالم مُتهتّكٌ ، وجَاهلٌ مُتنسّكٌ " .

8 ـ ومن حقّ العلم على العالم إعزازه ، وتنزيهه عن شُبَهِ المكاسب ، أو أن يتخذه سلّماً لمآرب الدنيا ، أو مطيّة لذوي الأهواء ، أو باباً لذلّ المطامع .. وما أحسن تعبير القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرحاني[1] ، عن حقّ العلم على العالم ، ورفعة العلمِ في نفوس أهلِه ، إذ يقول في قصيدته العصماءِ اليتيمة ، التي يحقّ لنا أن نسمّيها : عُنوانَ المَجدِ للعالمِ المُجِدّ :

يقُولونَ لي : " فيك انقباضٌ .. " وإنما
رأوا رجُلاً عن مَوقفِ الذلّ أحجما
أرى الناسَ من داناهُمو هانَ عندهُم
ومَن أكرمته عِزّةُ النفسِ أُكرما
ولم أقضِ حَقّ العلمِ إن كان كلّما
بدا طَمعٌ صيّرتُه ليَ سُلّما
وما زِلتُ مُنحازاً بعِرضيَ جانباً
عنِ الذلّ أعتدُّ الصيانةَ مَغنما
إذا قيل : هذا مَنهلٌ قلتُ : قد أرى

(1) ـ ولد في جرجان سنة 290 وتوفّي سنة 366 هـ ، فقيه شاعر ناقد ، له كتاب : " بين المتنبّي وخصومه " .

ولكنّ نَفسَ الحرّ تحتمِلُ الظَّما
أنزّهها عن بعضِ ما لا يشينُها
مخافةَ أقوالِ العِدا : فيمَ أو لما .؟
فأُصبحُ عَن عيبِ اللئيمِ مُسلّماً
وقد رُحتُ في نفسِ الكريمِ مُعظّما
وإنّي إذا ما فاتني الأمرُ لم أبِت
أقلّبُ كفّي إثرَه مُتندّما
ولكنّه إن جاء عفواً قبلتُه
وإن مالَ لم أُتبعه : هلاّ وليتما
وما كلُّ بَرقٍ لاحَ لي يَستفزّني
ولا كلُّ أهلِ الأرضِ أرضاهُ مُنعما
وأَقبضُ خَطوي عن أمورٍ كثيرةٍ
إذا لم أَنلها وافرَ العِرض مُكرما
وأُكرمُ نفسِي أَن أُضاحِكَ عابساً
وأن أتلقّى بالمديحِ مُذمَّما
وكم طالبٍ رِقّي بنُعماه لم يصِل
إليهِ وإن كانَ الرئيسَ المعظّما

وكم نعمةٍ كانت على الحرّ نقِمةً
وكم مَغنمٍ يعتدّه الحرّ مَغرما
ولم أبتذلْ في خِدمةِ العلمِ مُهجَتي
لأَخدُمَ مَن لاقيتُ لكِن لأُخدَما
أأشقَى به غَرساً وأجنيهِ ذِلّةً
إذن فاتّباعُ الجهلِ قد كان أحزما
وإنّي لراضٍ عن فتىً مُتعفّفٍ
يروُحُ ويغدُو ليسَ يملكُ دِرهما
يَبيتُ يُراعي النجمَ مِن سُوءِ حالهِ
ويُصبحُ طَلقاً ضاحكاً مُتبسّما
ولا يسألُ المثرينَ ما بأكفّهم
ولو ماتَ جُوعاً عِفّةً وتكرّما
فإن قلتَ : زَندُ العلمِ كابٍ ، فإنما
كبا حينَ لم نحرُس حماهُ وأظلما
ولو أنّ أهلَ العلمِ صانُوهُ صانَهُم
ولو عَظّموهُ في النفُوسِ لعُظّما
ولكنْ أذلّوهُ فهانُوا ودنّسُوا
مُحيّاهُ بالأطماعِ حتّى تجهّما

ـ وقد علّق الأستاذ عليّ الطنطاوي رحمه الله على هذه القصيدة بقوله : " وياليت كلّ عالم ينقش هذه الأبيات في صدر مجلسه ، وعلى صفحات قلبه ، ويجعلها دستوره في حياته ، وإمامه في خلائقه " [1] .

9 ـ وليعلم حامل العلم : أنّ في العلم لذّة هي عوض عن كل لذّة ، وغناء عن كلّ رغبة ، أو حظّ من الدنيا الزائلة .. متى كان صادق النيّة فيه ، صحيح الهمّة ، طموح العزيمة ، يبتغي الأجر من الله والمثوبة ..

10 ـ ومن أهمّ آداب المعلّم : أن يزجر عن سوء الأخلاق بالتعريض ما أمكن ، بدون أن يعيّن إنساناً أو يوبّخه أمام إخوانه ، وكان النبيّ ﷺ إذا نهى عن أمر فعله بعض الناس يقول : " **ما بالُ أقوامٍ يفعلون كذا وكذا** .. " .

11 ـ **ومن أهمّ آداب المعلّم أيضاً** : ألاّ يُعنّف متعلّماً ، ولا يحقّر ناشئاً ، ولا يستصغر مبتدئاً ، فصغير اليوم كبير الغد ، وربّ كلمة أساءت لطالب لم ينسها لمعلّمه مدى عمره ..

---

(1) ـ تُوفّي الشيخ علي الطنطاوي ، وأنا أراجع هذه الرسالة ، عشيّة يوم الجمعة الرابع من شهر ربيع الأول من سنة 1420 للهجرة ، ودفن بعد عصر يوم السبت في مقبرة العدل بمكّة المكرّمة ، تغمّده الله تعالى برحمته ، وأسكنه فسيح جنّته ، وعوّض الأمّة خيراً عن فقده .

وربّ كلمة قد يقولها المعلّم بحقّ ناشئ متعلّم ، يكون فيها افتراء على الله تعالى ، أو حجرٌ لفضل الله على عباده ، وكفى بذلك تعريضاً للنفس إلى مقت الله ، وسوء أحدوثة بين الناس ..!

إنّ الإسلام يأبى أن يكون التعليم بالتعنيف أو التحقير أو التنفير ، وقد مرّ بنا من النصوص الساطعة في هذا المعنى ما لا نحتاج معه إلى بيان أو تدليل ، ولكنّ بعض المعلّمين وللأسف لا يزال يحمل تلك الروح في نفسه ومواقفه ، ولا يزال يصرّ على أن يسلك هذا المسلك المشين في تعليمه ، ومن عجب أنّه يرى أنّ هذا المسلك لا يؤتي إلاّ الثمار الضارّة المرّة ، ثمّ يصرّ بعد ذلك على ما مرد عليه واعتاد .؟!

إنّنا كم نستصغر في أنفسنا أولئك المعلّمين كلّما ذكرناهم ، الذين سلكوا معنا مسلك التعنيف أو التحقير أو التنفير ، أو تنبّئوا لنا في موقف من المواقف بسوء مستَقبلنا ..! ثمّ كذّبتهم أقدار الله تعالى بنا وألطافه ..

وقد كان يسعهم أن يقولوا لنا الكلمة الطيّبة المشجّعة ، التي تفعل فعلها الإيجابيّ في النفس ، وتترك أثرها الذي لا ينسى .؟!

وقد أسرّ لي بعض المعلّمين المربّين الأفاضل بقوله :

" ما ندمتُ على كلمة قلتها لطالب من طلاّبي كما ندمت ، ولا أزال أندم على كلمة قلتها لطالب كان على درجة كبيرة من الطيش والرعونة .. فقلت له : " إنّك لا تفلح في العلم أبداً .. " ثمّ مضت الأيّام ورأيته

بعد سنوات ، وقد نال الشهادة الجامعيّة بتفوّق ، وأصبح إنساناً آخر ، في سمته وجدّه ، ووقاره وحسن أدبه " .

فليعتبر بذلك المعلّمون .! وليعلموا أنّ المعلّم العاقل الناجح في عمله هو من يرفع شأن المتعلّمين ، ويحثّهم على سموّ الهمم ، والبعد عن سفساف الأمور ، ويصبر على ما يظهر منهم من الجهل والطيش ، ويرفق بهم ، ويلتمس العذر لهم في نفسه مع بذل ما يستطيع من الجهد في تأديبهم وتوجيههم ، ويستشعر عظم مسئوليته عنهم ، كلما رأى منهم قصوراً أو تقصيراً ..

وقد جاء في الحديث الشريف : (**إنما بُعثتُ مُعلّماً ، ولم أُبعث مُعنّفاً**) [1] .

12 ـ ومن أهمّ آداب المعلّم : حسن الاستقبال لطالب العلم ، والترحيب به ، والبشاشة في وجهه ، والترغيب له في العلم ، وحثّه عليه ..

ـ عن أبي هارون العبدي رحمه الله ، أنه قال : " كنا نأتي أبا سعيد الخدري ﷺ فيقول : " مرحباً بوصيّة رسول الله ﷺ .! إنّ رسول الله ﷺ قال :

---

(1) سبق تخريجه .

(إنّ الناس لكم تبع ، وإنّ رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض ـ أي من نواحيها البعيدة ـ يتفقّهون في الدين ، فإن أتوكم فاستوصوا بهم خيراً) .

13 ـ ومن أهمّ آداب المعلّم : أن يحترم العلوم الأخرى ، التي يتلّقاها المتعلّم ، ويحثّه على الاهتمام بها ، وألاّ يزدريها أمامه ، ولا يحقّر شأنها ، وما دامت علوماً نافعة ، تحتاج الأمّة إليها فهي من فروض الكفايات ، التي يجبُ على مجموع الأمّة وجوباً كفائيّاً ، وتأثم الأمّة كلّها إن لم تحقّق الكفاية ، وتسدّ النقص .. فإذا هوّن المعلّم من هذه العلوم أمام المتعلّم ، ربما لقي كلامه القبول لديه ، فأهملها واستهتر بها ، وفتح عليه بذلك باب التقصير ، والتخلّف فيها .

14 ـ ومن أهمّ آداب المعلّم : أن يعرف الفضل لأهل الفضل ، ويقدّم من هو أولى منه بالكلام والفتوى ، ويعرف قدرهم ، ولا يغمطهم حقّهم ، ويرشد إلى الأخذ عنهم ، وقراءة كتبهم ، والانتفاع بعلمهم ، فهذا من إخلاصه في طلب العلم وحسن قصده ..

ـ ولا يمنع هذا الأدب من مخالفة العالم غيره من أهل العلم ، فيما هو محلّ اجتهاد ، تسوغ فيه المخالفة ، ولكن الاختلاف في الاجتهاد لا يهدر مكانة الرجال ، ولا ينقص من أقدارهم ..

15 ـ أن يتحلّى المعلّم بالعدل والإنصاف ، ويبتعد عن الغلوّ والإسراف ، أو التقصير والإجحاف ، فالعدل والإنصاف أحمد الأحوال ، وأرقى الخلال ، ومثَلُه كمثَل تناول الدواء بقدر معلوم ،

ليكون به الشفاء بإذن الله تعالى ، فترك التداوي فيه تعريض للنفس إلى الهلاك . ومجاوزة الحدّ في تناول الدواء ، فيها السمّ المميت .

ـ فالعدل والإنصاف مع الطلاب والمتعلّمين أجمع لقلوبهم ، وأنفع لهم من معلّمهم ، وفيه تأديب لهم وتربيةٌ على ذلك ..

ـ والعدل والإنصاف في نظرة المعلّم إلى العلوم ، وفي موقفه من الآراء ، ومن يختلف معهم في الرأي ، ويخالفهم في الاجتهاد .. فيه دليل على اتّزان شخصيّته ، وتأدّبه بأدب العلم ، وسمات أهل الفضل .

16 ـ ومن أهمّ آداب المعلّم : أن يحاسب نفسه بين الحين والآخر ، على أقواله وأفعاله ، ومواقفه وتصرّفاته ، ويزن نفسه بميزان دقيق في كلّ ما يصدر عنه ، ليكون في رقيّ دائم ، وتقدّم مستمرّ ..

هذه أهمّ آداب المعلّم ، وأجمع صفاته ، وهي مقدّمة لما وراءها ، ودليل على سواها ..

ـ قال الجاحظ يوصي طالب العلم المعلّم في بعض أقواله الجامعة : **" .. وهب الله لك حسن الاستماع ، وأشعر قلبك حبّ التثبّت ، وجعل أحسن الأمور في عينيك وأحلاها في صدرك ، وأبقاها أثراً عليك في دينِك ودنياك : علماً تفيدُه ، وضالاًّ ترشدُه ، وباباً مِن الخير تفتحُه ، وأعاذك من التكلّفِ ، وعصمك مِن التلوّنِ ، وبغّض إليك اللجاجَ ، وكرّه إليك الاستبدادَ ، ونزّهكَ عن الفُضولِ ، وعرّفك سوءَ عاقبةِ المراء ، ولا أعلم الموصوف بالاستبداد إلاّ مجهّلاً مذموماً .**

" فاجعل محاسبة نفسِك صناعةً تعتقدُها ، وتفقّدَ حالاتِك عقدةً ترجعُ إليها ، حتّى تخرجَ أفعالُك مقسومةً محصّلةً ، وألفاظُك موزونةً معدّلةً ، ومعانيك مصفّاةً مهذّبةً ، ومخارِجَ أمورِك مقبولةً محبّبةً ، فمتى كنتَ كذلكَ ، كانت رقّتُك على الجاهلِ الغبيّ ، بقدرِ غلظتِك على المعانِدِ الذكيّ ، وتحبّب الجماعةَ بقدرِ بُغضِك للفرقةِ ، وترغَبُ في الاستخارةِ والاستشارةِ بقدرِ زهدِكَ في الاستبدادِ واللجاجةِ ، وتبدأُ مِن العلمِ بما لا يَسَعُ جهلُه قبلَ التطوّعِ بما يسعُ جهلُه ..

" ولا تلتمسِ الفُروعَ إلاّ بعدَ إحكامِ الأُصُولِ ، ولا تنظُر في الطُّرَفِ والغرائِبِ وتؤثِر روايةَ المَلَحِ والنوادِرِ ، وكلّ ما خفّ على قُلوب الفُرّاغ ، وراقَ أسماعَ الأغمارِ .

سُئل بعضُ العلماء عن بعض أهل البلدان ، فقال : أبحثُ الناسِ عن صغيرٍ ، وأتركُهم لكبيرٍ .

وسُئل عن بعض الفقهاء ، فقال : **" أعلمُ الناسِ بما لم يكن ، وأجهلُهم بما كان "** .

وقيل لبعض العلماء : مَن أسوأُ الناسِ حالاً ؟ قال : " مَن لا يثقُ بأحدٍ لسُوءِ ظنّه ، ولا يثقُ به أحدٌ لسُوءِ فعلِه " [1] .

---

(1) ـ من كلام الجاحظ في كتاب " البرصان والعرجان والعميان والحولان " ص / 3/ .

المبحث الثاني

أهـمّ آدابِ المُتعلّـم

1 ـ حسن النية ، وسلامة القصد ، **فإنما الأعمالُ بالنيّاتِ ، وإنما لكلّ امرئٍ ما نوى** ، وينبغي أن يكون هدف المتعلّم وغايته نيل ثواب الله تعالى ومرضاته ، ونفع الأمّة الأسلاميّة التي ينتمي إليها ، ورفعة الإسلام وإعزاز كلمته ، وأن يتطهّر من أعراض الدنيا ، ومقاصدها الدنيّة ، ليسدّد الله تعالى خطاه ، ويفتح عليه ، وينفع العباد به ..

2 ـ أن ينوي بطلب العلم الامتثال والعمل ، وألاّ يطلب بتعلّمه الصيت بين الناس ، وحسن الذكر ، والتقدّم على الأقران ، والرفعة في المجالس ، فإنّ مِن أوّل الناس الذين يُقضى فيهم يوم القيامة : رجل تعلّم العلم ، وعلّمه ، ولم يعمل به ، ولم يخلص لله في تعلّمه وتعليمه ، فيكبّه الله تعالى في النار ..

ففي الحديث الصحيح : (**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ .. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ،**

وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ..) [1] .

فينبغي أن يكون هذا الحديث المخيف نُصب عيني طالبِ العَلم ، كيلا يتردّى في مهاوِي فتنة السمعة والرياء ، وابْتغاء أعراض الدُّنيا الفانية بعلمه ، أعاذنا الله منْ شرّ ذلك وعَقابيله بمنّه وكرمه .

وفي الأثر عن جابر ﷺ مرفوعاً : **" لا تَعلّموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا لتماروا به السفهاء ، ولا لتجتازوا به المجالس ، فمن فعل ذلك : فالنار النار "** .

ـ **ومن وصايا لقمان لابنه** : " يابني ! لا تتعلّم العلم لثلاث ، ولا تدعه لثلاث ، لا تتعلّمه لتماري به ، ولا لتباهي به ، ولا لترائي به ، ولا تدعه زهادة فيه ، ولا حياء من الناس ، ولا رضىً بالجهالة .. "

3 ـ التأدّب مع العالم ، والتملّق له ، وشدّة الرغبة فيما عنده ، والصدق في الطلب ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : **" ذللتُ طالباً ، فعززتُ مطلوباً "** .

ـ وقال بعض الحكماء : " من لم يحتمل ذلّ التعلّم ساعة ، بقي في ذلّ الجهل أبداً " .

---

(1) ـ رواه مسلم / 3527/ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ .

4 ـ ومن آداب المتعلّم : الصبر على معاناة العلم ، والدأب في تحصيله ، فلا ينال العلم إلاّ بنهم لا يقف عند حدّ ، وهمّة لا تعرف الفتور ، ومن طلب العلى سهر الليالي .

ـ وإنّ من أظهر العلل التي نشكوها في كثير من طلاب العلم اليوم : التشهّي في طلب العلم ، فتراه يقبل برغبة جامحة أيّاماً معدودات ، أو شهوراً قليلةً ، وكأنّه يريد أن يحوز العلم كما يحوز الإنسان بضاعة بماله ، ويتطلّب من مشايخه أو معلّميه كثرة الدروس ومضاعفة الجهود معه ، وحاله لا يستوعب ما يتطلّب ، ثمّ يرى الطريق أمامه طويلاً ، فتفتر همّته ، وتتراخى عزيمته ، ثمّ ينقطع كأن لم يدخل هذا الباب ، ولم يعرفه ..

ـ وقد سُئِلَ رسول الله ﷺ : (**أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ ؟ قَالَ : أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ ، وَقَالَ : (اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ، فإنّ الله لا يملّ حتّى تملّوا)** [1] .

ـ وفي الحديث : (**إنّ هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، فإنّ المنبتّ لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع**) [2] .

---

(1) ـ رواه البخاريّ / 5984/ عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللهُ عَنْهَا .

(2) ـ رواه البزّار عن جابر رضي الله عنه كما في كشف الخفاء 1/ 300/ .

5 ـ ومن آداب المتعلّم : أن يقطع العلائق الشاغلة عن تحصيل العلم ، أو يتقلّل منها ما استطاع ، فإنّ الفكرة إذا توزعت بين عدة أمور قصرت عن إدراك الحقائق ، وكَلّ صاحبها عن النبوغ في العلوم ..

ـ وقد روي عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أنّه قال : " لو كُلّفنا بصلة ، لما تعلمنا مسألة .. " .

ـ وقد كان السلف يؤثرون العلم على كلّ شئ .

ـ ومن أخطر العوائق القاطعة عن العلم : ابتغاء عرض الدنيا فيما يطلب من العلم ، والإصرار على المعاصي والمحرمات التي تذهب بنور العلم وبهائه ، وتحرم طالب العلم من خير كثير ، وتحجبه عن تفرغ القلب والعقل لإدراك العلوم وتحصيلها .

ـ وقد بين الإمام الشافعي رحمه الله تعالى خطر المعاصي على طالب العلم ببيتين من الشعر ، طارا بين طلبة

العلم مثلاً ، ولكن أين نحن منهما .؟! يقول رحمه الله :

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حِفظي

فأرشدَنِي إلى تركِ المعاصِي

وأخبرني بأنّ العلمَ نُورٌ

ونُورُ اللهِ ، لا يُهدَى لِعَاصِي

6 ـ ومن آداب المتعلّم : أن يتحقّق بتقوى الله تعالى في السرّ والعلن ، امتثالاً لأوامر الله واجتناباً لنواهيه ، فتقوى الله سبحانه : خير أسباب توفيق الله وفضله ، وفتحه على عباده في الفهم والعلم ، قال تعالى : ﴿.. وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٢٨٢﴾﴾ البقرة .

ـ فالعلم والتعليم فتح من الله سبحانه وتوفيق ، فليكثر الطالب من سؤال الله ودعائه أن يفتح عليه بالعلم النافع ، ويوفّقه للعمل الصالح ، ويفهّمه ما استغلق عليه من العلوم ، وأن يزيده علماً وفهماً : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾﴾ طه .

وقال تعالى : ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا ﴿٧٩﴾ ..﴾ الأنبياء .

ـ وإنّ خير أسباب الفتح والتوفيق والمزيد : أن يتواضع لله تعالى ، ويستشعر فضل الله عليه فيما يعلم ، وليقل دائماً ، بلسان حاله وقاله : ﴿.. سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ البقرة .

7 ـ ومن آداب المتعلّم : أن يسأل عما لا يعلم ، مما ينفعه علمه ، ولا يستحيي من السؤال ، فلن ينال العلم مستكبرٌ ولا مستحٍ .. ولا ينبغي أن يسأل إحراجاً ولا إعناتاً ، وأن يحسن السؤال ، ويفكّر فيما يسأل قبل أن يسأل ، فالسؤال مفتاح العلم ، ودليل العقل .

ـ وقد قيل لابن عباس رضي الله عنهما : " بمَ نلت هذا العلم ؟ قال : بلسانٍ سئُولٍ ، وقلبٍ عقُول " .

ـ وروي في الحديث الشريف : " **إنّما شفاءُ العِيّ السؤالُ** " [1] .

ـ وفي الأثر : " **حسن السؤال نصف العلم** " .

ـ وينبغي أن لا يسأل إلاّ استرشاداً وتعلّماً ، ولا يكثر الأسئلة ، ولا يعترض على معلّمه أمام طلابه إلاّ إذا أخطأ في كتاب الله تعالى ، أو أمر من الدين ظاهر .. ولكنّه لا يخرج باعتراضه عن الأدب بحال .

8 ـ ومن آداب المتعلّم : أن يعرف للمعلّم عظيم حقّه ، وفضل علمه ، ويشكر له جميل فعله .

ـ وقد رجّح كثير من الحكماء حقّ العالم على حقّ الوالد ، حتّى قال بعضهم :

مَن علّم الناسَ كانَ خيرَ أبٍ
ذاك أبو الروحِ لا أبُو الجيف

وذلك لأن حياة الروح بالعلم ، وحياة الجسد بالروح ، فالعلم مادّة الروح الإنسانيّ ، كما أن النطفة مادّة الجسد والروح الحيوانيّ .. والروح الإنسانيّ أفضل الأرواح ، فمن ثمّ كان المعلّم خير الآباء ..

---

(1) ـ رواه ابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما ورواه أحمد والدارمي والدارقطني ، وفيه قصّة كما في كشف الخفاء 1/ 247/ .

ـ وقال الشاعر :

إنّ المُعلّمَ والطبيبَ كلاهُما

لا ينصحان إذا هُما لم يُكرَما

فاصبر لدائكِ إن أهنتَ طَبيبَه

واصبر لجهلِكَ إن جَفوتَ مُعلّما

ـ فمن حقّ المعلّم :

إذا ماشيته أن تقدّمه عليك في الدخول والخروج ، وإذا التقيته فأعطه حقّه من السلام والاحترام ، وإذا اشتركت معه في حديثٍ فمكّنه من الكلام قبلك ، واستمع إليه بإصغاء وإجلال ، ولا ترفع صوتك في حضرته ، وإذا سُئلت عنْ مسألةٍ بين يديه فحوّل السائل إليه .. وإذا كان في الحديث ما يدعو إلى المناقشة فناقشه بأدبٍ وسَكينةٍ ولُطف ، وغُضّ مِن صوتك في حديثك إليه ، وإذا خاطبته أو ناديته ، فلا تنس تكريمه في الخطاب والنداء ، ونَاده بأحبّ الأسماءِ إليه ، وأكرمِ الألقَاب والصفَات ، وصُن سُمعته ، واحفظ غَيبته .. ويتوجّب عليك هذا الحقّ كلّه لمن كان أكبر منك سنّاً ..

ـ ففي الحديث الشريف عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : (**لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ**) [1] .

9 ـ ومن آداب المتعلّم : أن يحرص على الفائدة والحكمة ، فهي ضالّة المؤمن ، أينما وجدها التقطها ، وهو أحقّ بها ، كما جاء في الحديث الشريف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : (**الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا**) [2] .

10 ـ ومن أهمّ آداب المتعلّم : أن يحرص على العلم النافع ، ويبتعد عن العلوم الضارّة وفضول العلم ، ومسائل الاختلاف في مبدأ أمره بخاصّة ، فإن ذلك يحّير عقله ، ويشتّت ذهنه ، ويشغله عما هو أهمّ له وأولى ..

وهل أهلك البشريّة اليوم إلاّ العلوم الضارّة التي اتّخذها المفسدون في الأرض وسائل للتدمير والقتل ، والبغي على عباد الله والطغيانِ ، وسفك الدمَاء والإفْساد لموارد الحياة .!؟

ـ ثمّ ينبغي له أن يأخذ من كلّ شئ أحسنه ، لأنّ العمر لا يتسع لتحصيل جميع العلوم واستقصائها ، وليحرص دائماً على الاستزادة من

---

(1) ـ رواه أحمَد / 21693/ .

(2) ـ رواه الترمذيّ / 2611/ وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إلاّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

أشرف العلوم وأجلّها ، وهي ما يتعلّق بالآخرة ، التي عليها مدار السعادة والفلاح ، وكلّ ما يزيد المؤمن قرباً من الله تعالى ، واستقامةً عَلى دِيْنه ومَنْهجه ..

11 ـ ومن آداب المتعلّم : أن يقتدي بمعلّمه في جميل أخلاقه ، ويتشبّه به في صالح أفعاله وأحواله ، ويحرص على نصحه ، ويستجيب لتوجيهه ، وينبغي أن يلتمس لمعلّمه العذر ما أمكن إن اطّلع على بعض أخطائه أو تقصيره ، فلعلّ له عذراً وأنت تلومُ ..

ـ ومن كلام ابن سيرين رحمه الله : " **إنّ هذا العلم دِينٌ ، فانظُرُوا عمّن تأخُذُون دِينكم** " [1] .

12 ـ ومن آداب المتعلّم : أن يغتنم أوقاته وينظّمها ، ويحرص على ملئها بالنافع المفيد ، ويحذر من ضياع الأوقات ، أو صحبة الفارغين البطّالين ..

فما ضيّع طالبَ العلم وأفسد عليه شأنه مِثلُ قتلِ الأوقات في غير فائدة ، والتفريطِ بها بغير حسابٍ ، وصُحبةِ البطّالين الذين يزيّنون له ذلك ، ويغرونه به ..

وإنّ من أهمّ أسس التربية الإسلاميّة وأصولها : التربية على حفظ الأوقات ورعايتها ، وإعطاء كلّ وقت حقّه من الجِدّ وفعل الخير ..

---

(1) ـ رواه مسلم في مقدّمة صحيحه .

وإنّ خير ما يعين طالب العلم على ذلك مطالعة سير السلفِ الصالح في هذا الشأن ، والحرص على الاقتداء بهم فيما كانوا عليه من الجِدّ والاجتهاد في استثمار أوقاتهم ، والانتفاع بهَا على أحسن وجه ، وقد أتوا في هذا البابِ بالعجب العجاب [1] .

13 ـ ومن آداب المتعلّم : أن يحرص على حسن العلاقة مع إخوانه المتعلّمين وسموّها ، ويبذل النصح لهم ، ويكفّ الأذى عنهم ، وينافسهم في طلب العلم ، والجدّ والاجتهاد ، ويتواضع لهم ، ويكون لين الجانب معهم .

14 ـ ومن آداب المتعلّم أيضاً : حسن السمت والوقار ، والاعتناء بالنظافة وجمال المظهر ، والبعد عن كل ما يُنفّر أو يُستقبَح ، ومراعاة الآداب العامة ، كآداب الطريق ، وآداب الزيارة والضيافة ، وآداب الأخوّة والحقوق الاجتماعية [2] ..

---

(1) ـ أنصح كلّ طالب علم أن يقرأ ما جمعه من ذلك أستاذنا العلاّمة الشيخ عبد الفتّاح أبو غدّة رحمه الله في كتابيه : " قيمة الزمن عند العلماء " و " صفحات من صبر العلماء " وما كتبه الدكتور العلاّمة الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه : " الوقت في حياة المسلم " .

(2) ـ وقد جمع أستاذنا العلاّمة الشيخ عبد الفتّاح أبو غدّة رحمه الله في رسالته : " من أدب الإسلام " أهمّ هذه الآداب بصورة نافعة ممتعة .

ـ ففي الحديث الشريف : (**إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ ، فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ ، وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ ، حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ ، فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلا التَّفَحُّشَ**) [1] .

ـ وفي الحديث أيضاً : (**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ..**) [2] .

ـ وفي الحديث أيضاً : (**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ ، فَقَالُوا : مَا لَنَا بُدٌّ ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا ، قَالَ : فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاّ الْمَجَالِسَ ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا ، قَالُوا : وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ .؟ قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الأَذَى ، وَرَدُّ السَّلامِ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ**) [3] .

15 ـ ومن آداب المتعلّم : أن يبتعد عن الخصام والجدال ، والمراء وكثرة القيل والقال ، وليعلم أنّ ذلك يوغر الصدور ، ويذهب ببركة العلم وبهائه ، ويحرمه من فتح الله عليه وتوفيقه ، ويكون علمه بذلك حجّة عليه يوم القيامة وسبباً لهلاكه ..

وأخيراً ؛ ففي تراثنا التربويّ ذخيرة فكريّة عظيمة ، وتفصيل دقيق من أئمّة الإسلام لما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم مع أستاذه وشيخه

---

(1) ـ رواه أبو داود / 3566/ عن أبي خريم الأسدي ﷺ ، وأحمد في المسند .

(2) ـ جزء من حديث رواه مسلم / 131/ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ ، ورواه الترمذيّ / 1922/ وأحمد في المسند .

(3) ـ رواه مسلم / 2285/ و / 2121/ و / 4021/ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ ، ورواه أبو داود / 4181/ وأحمد .

من أدب جمّ ، وخلق طيّب ، وعلاقة متميّزة ، تضاهي علاقة الأبناء بآبائهم ، بل تفوقها في كثير من الأحيان ، ومن ذلكَ ما يقوله الإمام بدر الدين بن جماعة في تفصيل ذلك وتصويره : " **وينبغي أن ينقاد التلميذ لشيخه في أموره ، ولا يخرج عن رأيه وتدبيره ، فيشاوره فيما يقصده ، ويتحرّى رضاه فيما يعتمده ، ويبالغ في حرمته ، ويتقرّب إلى الله بخدمته ، ويعلم أنّ ذلّه لشيخه عزّ وتواضعه له رفعة .. وأن يعرف له حقّه ، ولا ينسى فضله ، ويعظّم حرمته ، ويردّ غيبته ، ويغضب لها** " .

وفي مقابل ذلك يوضّح الإمام ابن جماعة ما على المعلّم من مسئوليّة جسيمة في رعاية طلاّبه ، وتفقّد أحوالهم ، والحدب عليهم كحدب الآباء على أبنائهم فيقول رحمه الله :

" **وينبغي أن يعتني بمصالح الطالب ، ويعامله بما يعامل به أعزّ أولاده مِن الحنوّ والشفقة والإحسان إليه ، والصبر على جفاءٍ ربما وقع منه ، ونقصٍ لا يكاد يخلو الإنسان منه ، وسوء أدب في بعض الأحيان ، ويبسط عذره بحسب الإمكان ، ويوقفه مع ذلك على ما صدر منه بنصح وتلطّف ، لا بتعنيف وتعسّف ، قاصداً بذلك حسن تربيته ، وتحسين خلقه ، وإصلاح شأنه ..** " .

" **وينبغي أن يتودّد لحاضرهم ، ويذكر غائبهم بخير وحسن ثناء ، وينبغي أن يستعلم أسماءهم وأنسابهم ، ومواطنهم وأحوالهم ، ويكثر الدعاء لهم بالصلاح** " .

" وينبغي أن يسعى في مصالح الطلبة ، وجمع قلوبهم ومساعدتهم بما تيسّر عليه من جاه ومال عند قدرته على ذلك ، فإنّ الله تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ، ولا سيّما إذا كان ذلك إعانة على طلب العلم ، الذي هو أفضل القربات .. وإذا غاب بعض الطلبة أو ملازمي الحلقة غياباً زائداً عن العادة سأل عنه ، وعن أحواله ، وعمّا يتعلّق به ، فإن لم يخبر عنه بشيء أرسل إليه ، أو قصد منزله بنفسه ، وهو أفضل .. " .

ويقول أَيضاً رحمه الله في بيانِ مثوبة العالم المعلّم عند الله ، وما له من عظيم الأجر : **" واعلم أنّ الطالب الصالح أعود على العالم بخير الدنيا والآخرة من أعزّ الناس عليه ، وأقرب أهله إليه ، ولذلك كان علماء السلف الناصحون لله ودينه يلقون شباك الاجتهاد لصيد طالب علم ينتفع الناس به في حياتهم ، ومن بعدهم ، ولو لم يكن للعالم إلاّ طالب واحد ينتفع الناس بعلمه وعمله وهديه وإرشاده لكفاه ذلك الطالب عند الله تعالى ، فإنه لا يتّصل شيء من علمه إلى أحد فينتفع به إلاّ كان له نصيب من الأجر .. " .**

ويعدّد الإمام الغزاليّ رحمه الله صفات المعلّم المربّي فيقول : **" أن يكون المعلّم عاملاً بعلمه ، فلا يكذّب قوله فعله ، لأن العلم يدرك بالبصائر ، والعمل يدرك بالأبصار ، وأرباب الأبصار أكثر ، فإذا خالف العمل العلم**

منع الرشد ، وكلّ من تناول شيئاً وقال للناس : " لا تتناولوه فإنه سمّ مهلك " سخر الناس به ، واتّهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه " .

ويستعرض الأسلوب الأمثل لتقويم الناشئ وتهذيبه فيقول : " **أن يزجر المتعلّم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ، ولا يصرّح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك الهيبة ، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار** " .

" وإذا رأى المعلّمُ من أحد طلبته مكروهاً ، ولحظ في سلوكه اعوجاجاً ، فلا يصرّح له بذلك مباشرة ، بل يعرض له في سياق كلامه مع الطلبة جميعاً ، كاشفاً عن وجه المذمّة في المكروه إجمالاً ، فتحصل بذلك الفائدةُ المنشودة " .

ويقول الإمام الغزاليّ أيضاً : " **إنّ التعليمَ يقع أوّلاً عن طريقِ الحسّ ، ثمّ بالتفكير والقياس ، وأخيراً بالحدس ، فالإنسان إذا تعلّم وارتاض بالعلم أصبح يفكّر فيما تعلّمه ، وانفتح له باب الغيب** " .

وينصح الإمام ابن الجوزيّ رحمه الله ولده بمعان نفيسة ممّا أفاض الله على قلبه من الحكمة فيقول : " واعلم يا بنيّ أنّ الأيام تبسط ساعات ، والساعات تبسط أنفاساً ، وكلّ نفسٍ خزانة ، فاحذر أن تذهب نفساً في غير شيءٍ ، فترى يوم القيامة خزانة فارغةً فتندم ..

" وفي الحديث : (**من قال : سبحان الله وبحمده ، غُرست له نخلة في الجنّة**) [الترمذيّ : 3464] ، فانظر إلى مضيّع الساعَاتِ كم يفوته من النخل .؟! " .

" فانتبه يا بنيّ لنفسك ، واندم على ما مضى من تفريطك ، واجتهد في لحاق الكاملين ما دام في الوقت سعة ، واسق غصنك ما دامت فيه رطوبةٌ ، واذكر ساعاتك التي ضاعت ، فكفى بها عظةٌ ، ذهبت لذّة الكسل فيها ، وفاتت مراتب الفضائل ، وقد كان السلف رحمهم الله يحبّون جمع كلّ فضيلة ، ويبكون على فوات واحدة منها " .

ويقول رحمه الله : " .. ولا تشتغل بعلم حتّى تحكم ما قبله ، وتلمّح سير الكاملين في العلم والعمل ، ولا تقنع بالدون ، فقد قال الشاعر :

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

" واعلم أنّ العلم يرفع الأراذل ، فقد كان خلقٌ كثير من العلماء لا نسب لهم يذكر ، ولا صورة تستحسن ، وكان عطاء بن أبي رباح أسود اللون ، ومستوحش الخلقة ، وجاء إليه سليمان بن عبد الملك ، وهو خليفة ومعه ولداه ، فجلسوا يسألونه عن المناسك ، فحدّثهم ، وهو معرضٌ عنهم ، فقال سليمان الخليفة لولديه : قوما ، ولا تنيا ، ولا تكاسلا في طلب العلم ، فما أنسى ذلّنا بين يدي هذا العبد الأسود ! " .

" وكان الحسن البصريّ مولىً ـ مملوكاً ـ وابن سيرين ، ومكحول ، وخلق كثير ، وإنما شرفوا بالعلم والتقوى " .

وذخائر السلف في الفكر التربويّ كثيرة متنوّعة ، شاملة محيطة ، لا يمكن أن تجمع في كلمات عابرة ، وإنما تصلح أن تكون منها دراسة علميَّة متخصّصة ، تجمع شواردها ونوادرها ، وتستقصي حقائقها ، ولكن حسبنا ما ذكرنا هَا هنا ، من هذه النبذة المختصرة ، والله يتولاّنا برحمته وهداه .

المبحث الثالث

آداب المناقشات العلميّة

العقول والأفهام منح إلهيّة ، قضت حكمة الله تبارك وتعالى أن تتفاوت وتتفاضل ، كما قضت حكمة الله سبحانه وتعالى بهذا التفاوت والتفاضل في كلّ نعمه وآلائه ، ومنحه وهباته .. ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ الجمعة .

وقد يقع بسبب هذا التفاوت بين الأفراد والجماعات خلاف ، ولكن يجب أن يكون الباعث إليه الإخلاص ، وأن تكون غاية الجميع طلب الحقّ ، وطالب الحقّ يسعى وراء الحقّ ، ويدور معه حيث دار ، سواء أظهر على لسانه أم لسان غيره ..

أمّا العناد والمكابرة ، ومدافعة الحقّ إذا ظهر ، والتعصّب للآراء أو الأشخاص فكلّ ذلك من أمراض القلوب ، ورعونات النفوس ، وهي مما ينبغي أن يربأ عنها العاقل ، فضلاً عن المسلم التقيّ المستقيم ..

وقد اختلف الصحابة ﷺ ، وتناظروا في كثير من مسائل العلم ، ولكن غرض الجميع كان طلب الحق ، ومعرفة وجهه ..

ويختلف الناس في كلّ عصر ، وتقع بينهم مناظرات في أمور ، ينظر إليها فريق من جانب ، وفريق من جانب آخر .. وقد تعلو الآراء وتسفُل ، وتقوى وتضعف ، وتمتدّ وتقصُر ، وتبعد وتقرب ..

والمناظرات محكّ عقول الرجال ، وبها يتوصّل الباحثون المخلصون إلى الحقّ المنشود ، إذا راعى الناس آدابها ، والتزموا بقواعدها وأصولها ، ومن أهمّ آدابها :

1 ـ أن يترك المتناظرون كلّ رغبة في الغلبة والانتصار على مناظريهم ، لأنّ ذلك ينافي الإخلاص في طلب الحقّ المنشود من جهة ، ويوغر الصدور بالعداوة ، ويزرع فيها الضغائن والأحقاد ، ويدفع المناظر الآخر إلى العناد والمكابرة من جهة أخرى ..

كان الشافعي رحمه الله تعالى يقول : **" ما ناظرني أحد ، إلاّ وأحببت أن يظهَرَ الحقّ على لسانه أو لساني .. "** .

2 ـ **أن يتركوا التعالي والتغالي ، والدعاوي الباطلة** في الثناء على أنفسهم وآرائهم ، أو آراء من ينتصرون لهم ، ويدَعُوا انتقاص آراء مخالفيهم ، والحطّ منها ، والإزراء عليها ..

3 ـ **وأن يدَعُوا التعالم والتفاصح على الناس** ، فإنّ ذلك مما يبعث الكراهية والمقت عند الله تعالى ، وعند الناس .. ويُصمّ آذان الناس عن سماع الحقّ المنشود ، ويصرف القلوب عن قبوله ..

4 ـ **وأن يحذروا أن تنقلب المناظرة إلى مراء وجدال** ، فإنّ الجدال والمراء لا يأتيان بخير ، ولا يوصلان إلى الحقّ ..

ففي الحديث الشريف : (**ما ضَلّ قَومٌ بعدَ هُدَىً كانُوا عَليهِ إلاّ أُوتُوا الجدَلَ**) [1] .

وفي الحديث أيضاً : (**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ ، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ ، وَإِنْ كَانَ مَازِحاً ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**) [2] .

5 ـ **وأن يحذروا من رفع الأصوات** ، وتوجيه الكلام غير اللائق ، وتحويل المناقشة العلميّة إلى اتّهام النيّات ، وتجريح الأشخاص أو الهيئات ..

وإنّ حلية أهل العلم والفضل : السكينة والوقار ، والبعد عن اللغو ، وكثرة القيل والقال ..

6 ـ **وأن يتيح المناقش الفرصة الكافية للطرف** الآخر ، للتعبير عن رأيه ، والتدليل عنه ، وأن يصغى إليه ، ولا يقاطعه في حديثه حتّى ينتهي ..

---

(1) ـ رواه الترمذيّ / 3176/ عن أَبِي أُمَامَةَ ﷺ ، وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجة في المقدّمة / 47/ والحاكم وصحّحه ، وأحمد في مسنده .

(2) ـ رواه أبو داود / 4167/ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ ، والترمذي وابن ماجة وأحمد بألفاظ مقاربة .

ويجتهد في تفهّم وجهة نظره ، والتعرّف على أدلّته ، أو الشبهات التي يستند إليها في قوله ..

7 ـ **وأن يتحلّى بالموضوعيّة التامّة في نقد الآراء** والأفكار ، بعيداً عن العاطفيّة والانفعال وردود الفعل . وأن يفصل بين الرأي وقائله ، إذ إنّ أكثر الناس يحدّدون مواقفهم من الآراء والأفكار ، تبعاً لمواقفهم ممّن يحملها أو ينادي بها . فكم من كلمة حقّ هجرت ، لأنّ قائلها مغمور بين الناس .! وكم من كلمة باطل قُبلت ، لأن قائلها ذو جاه ورئاسة .!

وقد روي عن عليّ ﷺ أنّه قال : " **اعرِفِ الرجالَ بالحقّ ، ولا تَعرفِ الحقَّ بالرجالِ** " .

ـ وفي رواية رويت من كلام عمر ﷺ : " **اعرف الحقّ تعرف أهله** " .

هذه أهمّ آداب المناقشات العلمية ، إذا تحقّق بها المتناظرون ، أثمرت مناظرتهم تفهّم وجهات نظر بعضهم بعضاً ، وانكسرت حدّة الخلافات ، وزالت أسباب سوء الفهم أو سوء الظنّ ، واتّسعت مدارك كلّ فريق .. وأمكن التقاء الجميع ، وتفاهمهم في دائرة الأمور المتفق عليها ، المسلّم بها .. والله الموفّق والهادي إلى سواء السبيل .

الخاتمة . . ونسأل الله تعالى حسنها

وختاماً ، فإنّ المحور الذي تدور حوله رسالة المعلّم ، وتصدر عنه آداب العالم والمتعلّم ، أن يكون حملة العلم قدوة حسنة ، وأسوة صالحة لمن يُعلّمونهم ، يرون من أخلاقهم وسلوكهم ، وسمتهم وأدبهم ، وكلامهم ومواقفهم ، ما يطبع في نفوسهم أزكى الصفات ، ويحبّب إليهم الحقّ ، ويزيّنه في قلوبهم ، فلا تزال نبتته تنمو وتزهر ، وتُؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربها ، فلا تستطيع شوائب الفساد والانحراف ، أن تدخل القلوب ، أو تعشّش حولها : ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ الرعد .

وإن المعلّم الذي يهدم بفعله ما يبني بقوله ، فإنّ أوّل ما يهدم من قلوب أبنائه ثقتهم به ، فلا ينظرون إليه أنّه الأسوة الحسنة لهم ، والقدوة المحببة ، وهذا ما يحدث الانفصام في حياتهم بين العلم والعمل ، والقول والسلوك ، وينبت خلائق التصنّع والنفاق ، والكذب الاجتماعيّ ، وتلك من أهمّ أسباب بوار الأمم وهلاكها .. وهذا ما يترك أيضاً المجال الواسع ، والمرتع الخصب ، لشياطين الإنس والجنّ : أن تستولي على

القلوب ، وتستهويها ، وتصدّ الناس عن سبيل الله ، وصراطه المستقيم ..

وإنّ من أعظم أسباب خلود رسالة الإسلام ، خلود شخصية رسول الله ﷺ وعصمته ، وقد جعله الله تعالى الأسوة الحسنة للمؤمنين فقال سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب .

وشهد له أعظم شهادة فقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم .

لقد جمع الله تعالى لهذه الأمة بين حفظ القرآن الكريم ، وهو الوحي المنزّل ، والمنهج المكتوب ، وبين حفظ المنهج العمليّ ، المتمثل في سيرة النبيّ المعصوم ، صلوات الله وسلامه عليه ، وسنّته النبويّة المطهّرة .. فكانت بذلك الأمّةَ الخاتمةَ بحقّ ، حاملةَ رسالة العلم والتعليم ، والريادة للأمم والشهادة على الناس ..

اللهمّ إنّا نسألُك عِلماً نافِعاً ، وقلباً خاشِعاً ، ورِزقاً حَلالاً واسِعاً ، وعمَلاً مُتقبّلاً ، وَشِفاءً مِن كُلِّ داء ، ونَسألُكَ اللهمّ حُبَّكَ ، وحبّ مَن يحبُّكَ ، وحُبّ العمل الذي يُقرّبُنا إلى حُبّك . ونَسألُكَ العمَلَ بكتابِك ،

والاتباعَ لسنّة نبيّكَ سيّدِنا محمّدٍ ﷺ ، في الأقوالِ والأفعالِ والأخلاقِ والأحوالِ والآداب .

اللهمّ علّمنا ما ينفعُنا ، وانفَعنا بما علّمتَنا ، وزِدنا عِلماً وعمَلاً وفِقهاً في الدينِ ، وسلامٌ على المرسلينَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ونبيّه سيّدنا محمّد الطاهر الزكيّ ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله ربّ العالمين

نداء ورسالة إلى كلّ معلّم ومعلّمة !

أيها المعلّمون ! طوبى لكم هذه المهنة ، مهنة الأنبياء والمرسلين .. وهنيئاً لكم هذا الشرف ، شرف تربية النفوس وبناء العقول .. إنّها تجمع لكم بين أجري الدنيا والآخرة .. فارفعوا هممكم عن الوقوف عند عرض الدنيا الزائل ..

ـ اخدموا هذه المهنة الشريفة ؛ برفع مستواكم العلميّ والتربويّ ، والتقاط الحكمة حيث كانت ، ومواكبة وسائل العصر ومستجدّاته ، إذ كيف يرجى العطاء المتميّز من جاهل بزمانه ، أو مجافٍ له ، ومُتخلّف عن عصره غير بصيرٍ به .؟!

وها هي ذي الأسر ، تلقي إليكم كلّ يوم بفلذات أكبادها ، والمجتمع يلقي إليكم ببراعم أكمامه ، ويضع بين أيديكم أمانة غالية ، ويحمّلكم مسئوليّة عظيمة .. وأمّتكم تعلّق على جهادكم الآمال العريضة ..

ـ إنّ الآمال التي يعقدها الأباء والأمّهات على أبنائهم ، أنتم السبيل إلى تحقيقها ، وإنّ قلوبَ أهل الأرض تتطلّع إلى جهدكم وجهادكم ، وملائكةَ السماء تحفّكم وترعاكم ، والله سبحانه وتعالى يرى عملكم ، ويشهد

قيامكم بحقّ هذه الأمانة ، أو تفريطكم فيها ..

ـ لقد بوّأكم الله تبارك وتعالى مقاماً عظيماً ، اختصّ به ذاته العليّة ، وجعله أشرف مهمّات رسله الكرام.. فأخلصوا لله نيّاتكم ، واحتسبوا عند الله عملكم وجهادكم ، وقدّروا شرف المهمّة ، وعظم الأمانة ، وجليل المسئوليّة ، واعلموا أنّه لن يقدر أحد جهادكم حقّ قدره سوى خالقكم الذي يعلم السرّ وأخفى ، فعلّقوا قلوبكم بالله ﷻ ، وابتغوا مرضاته في كلّ شأن ..

واعلموا ـ أيّها المعلّمون ـ أنّكم تضعون بصماتكم على شخصيّة أبناء الأمّة ، وقلوبهم وعقولهم وسلوكهم .. فانظروا أيّ البصمات تضعون ؟ وتتركون في قلوبهم ، وعلى ألسنتهم الذكرى .. فأيّ ذكرى تتركون ..؟!

إنّ نهضة التعليم أنتم روّادها ، وأمدادها ، فقوّموا أنفسكم من خلال ثمراتكم وآثاركم .. وإنّ مفخرة سلفنا كانت بأساتذتهم وتلاميذهم على حدّ سواء .. فكم من تلميذ رفع أستاذه ، وفاقه ! وأعلى قدره وخلّد ذكره .!

وكم كان للأساتذة والشيوخ والأئمّة في هذه الأمة من أثر جليل في بناء الرجال ، وتخريج القادة ، وصنع الأبطال الفاتحين ، وصياغة الحضارة الإسلاميّة المشرقة الزاهرة في كلّ جانب من جوانبها ..!

أيّها المعلّمون ! لا تنسوا أنّ هذه المدارس والمعاهد تزدان بكم وتزهر ، وأنتم تزدانون بنور قلوبكم ، وصفاء نيّاتكم ، وسلامة قصدكم ، واجتهادكم في البذل والعطاء ، وسلوككم المتألّق القدوة ..

أنتم مصابيحُ الأمّة ، وتيارُها نبضُ قلوبكم ، وقوّة يقينكم ، وحماستكم للخير الفيّاضة ..

فأيّ فلاح للأمّة .؟ إن احترقت مصابيحها ، أو تقطّعت خطوط تيارها ، أو همدت حرارة دمها ؟!

وكيف ترجى لها نهضة ورقيّ ، ومنافسة لأمم الأرض ؟! إن خفتت فيها المصابيح .. وتلاشت في جنباتها الأنوار ؟!

أيّها المعلّمون ! سيذهب الجهد والتعب ، وتبقى الآثار والثمرات ، والأجر والمثوبة ، فانظروا ببصائركم إلى الآثار والثمرات ، ومثوبة الآخرة تنس أجسادكم التعب الحاضر ، والمشقّات العارضة ..

أيّها المعلّمون ! ﴿.. ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ التوبة .

أهـمّ المراجع

1 ـ القرآن الكريم .

2 ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي .

3 ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف ـ مجموعة من المستشرقين .

4 ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني .

5 ـ شرح النووي على صحيح مسلم .

6 ـ سنن الترمذي .

7 ـ سنن أبي داود .

8 ـ سنن النسائي .

9 ـ سنن ابن ماجه .

10 ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل .

12 ـ فهرس مسند الإمام أحمد ترتيب أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول .

13 ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير .

14 ـ رياض الصالحين ـ للإمام النووي ـ تحقيق رباح والدقاق .
15 ـ الترغيب والترهيب للحافظ المنذري .
16 ـ إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمّد الغزالي .
17 ـ أدب الدنيا والدين ، للإمام الماوردي .
18 ـ تذكرة السامع والمتكلّم في آداب العالم والمتعلّم للإمام بدر الدين بن جماعة .
19 ـ الدعوة للإسلام وأركانها للشيخ أحمد عز الدين البيانونيّ .
20 ـ من محاسن الإسلام للشيخ أحمد عزّ الدين البيانونيّ .
21 ـ منهاج التربية الصالحة للشيخ أحمد عزّ الدين البيانونيّ .

المحتويات

إهداء الطبعة الثانية

إهداء الطبعة الأولى

مقدّمة الطبعة الثانية

مقدّمة الطبعة الأولى

أقباس من هدي القرآن الكريم

قبس من هدي المصطفى

المعلّم والمربّي الأول سيّدنا محمّد

الفصل الأول : رسالة المعلّم

المبحث الأول : نحن أمّة رسالة

المبحث الثاني : الفرق بين المعلّم والموظّف

المبحث الثالث : علاقة الناس بالمعلّم أوالموظّف

المبحث الرابع : المعلّم في مفهوم الإسلام

المبحث الخامس : صفات المعلّم ومؤهّلاته التربويّة

المبحث السادس أسباب أخر تحوّل المعلّم إلى موظّف

ملاحظة أخيرة

الفصل الثاني : آداب المعلّم والمتعلّم

المبحث الأولى : آداب المعلّم وأخلاقه

المبحث الثاني : أهمّ آداب المتعلّم

من ذخائر تراثنا التربويّ

المبحث الثالث : آداب المناقشات العلميّة

الخاتمة

نداء ورسالة إلى كلّ معلّم ومعلّمة

أهمّ المراجع

* صدر للمؤلّف *

1 ـ ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربويّة وآثاره .

2 ـ وجوب وحدة المسلمين .

3 ـ رسالة المعلّم وآداب العالم والمتعلّم .

4 ـ رسالة اعرف نبيّك محمّداً ﷺ يا بنيّ .!

5 ـ رسالة ومضات من هدي النبيّ الخاتم ﷺ .

6 ـ البيّنات في تفسير سورة الحجرات .

7 ـ رسالة المنهج القويم للداعية الحكيم .

8 ـ رسالة مشاهد الأتقياء في الصبر على الابتلاء .

9 ـ رسالتان في التربية .

10 ـ قصص وعبر من عجائب القدر . المجموعة الأولى .

11 ـ قصص وعبر من لطائف القدر . المجموعة الثانية .

12 ـ رسالة حديث القلب .

13 ـ رسالة النصائح الذهبيّة لتربية الأولاد ورعايتهم .

14 ـ قبسات من نور النبوّة لصاحبي الفضيلة الشيخ أحمد عزّ الدين البيانونيّ والشيخ عبد الفتّاح أبو غدّة رحمهما الله بعناية د. عبدالمجيد البيانونيّ ، وفي ختامه رسالة : " ومضات من هدي النبيّ الخاتم ﷺ " .

15 ـ تذكرة العابد بحقوق المساجد .

16 ـ أساليب تربويّة ومفاهيم دعويّة من حياة الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني .

17ـ ركائز دعويّة من هدي النبيّ ﷺ في العلاقات الاجتماعيّة .

18 ـ القول المبين في تفسير سورة : " يس " .

19 ـ لمحات من حياةالشيخ أحمدعزّ الدين البيانوني وتعريف بمؤلّفاته .

20 ـ لئلاّ تضيع الطفولة : ثلاثون سبباً تمنعك من الطلاق .!

21 ـ مواقف تربويّة من هدي النبيّ ﷺ مع الأطفال .

22 ـ إنّها الأنثَى .! رؤى نقديّة حول دعوى التمييز ضدّ المرأة

23 ـ ملامح السعادة في تربية الطفل على العبادة

24 ـ نبيّ الهدى والرحمة ﷺ

25 ـ نحن وأبناؤنا

26 ـ دندنات حول بيت السعادة

27 ـ مع أشجان الروح : نَوافِذُ الإقدَامِ وَمَوطِئُ قَدَمٍ بَينَ الأقدَامِ

28 ـ رفقاً بالقوارير !

29 ـ أربع رسائل في التربية .

30 ـ خطوة خطوة نحو التربية الناجحة .

31 ـ الغائب المنتظر

32 ـ أيّها الأمير رسَالتَان فِي النُّصح وَالرِّعَايَة

33 ـ خمس عشرة مهارة تجعلك مربّياً متميّزاً .

34 ـ كيف تنعم أسرنا بالأمن .؟

تحمّل الرسالة

الإسلام دين العلم ، والتعليم مهنة الأنبياء ، وأكرم بها من مهنة ! وكفى بالمعلّم شرفاً أن يكون على خطا الأنبياء وهديهم إذا أدّى حقّ العلم ، وكان وفيّاً بهذه الأمانة ..

وإذا كان عمل كثير من المعلّمين لا يؤتي ثمراته .؟ فلأنّهم نسوا مهمّتهم ورسالتهم وأصبحوا موظّفين ، بعيدين عن رسالة العلم ، وما تحمله من أهداف سامية ، ولم يكونوا قدوة للمتعلّمين ، وأصبح تعليمهم صورة تنسخ ، لا روحاً تنفخ ، ومادّة تملأ العقول ، لا آداباً تهذّبُ النفوسَ ..

ولن تعود للتعليم روحه الإسلاميّة ما لم تسبق الآدابُ العلومَ ، والتزكيةُ التعليمَ ، غرساً وتعهّداً ورعاية ، وتتضافر على ذلك جهود الآباء والمربّين ، وبذلك يكون المتعلّمون قرّة عين الآباء والمعلّمين ، فاحرص أخي القارئ أباً كنت أو معلّماً أن تكون من حملة هذه الأمانة ، والله الموفّق والمستعان .